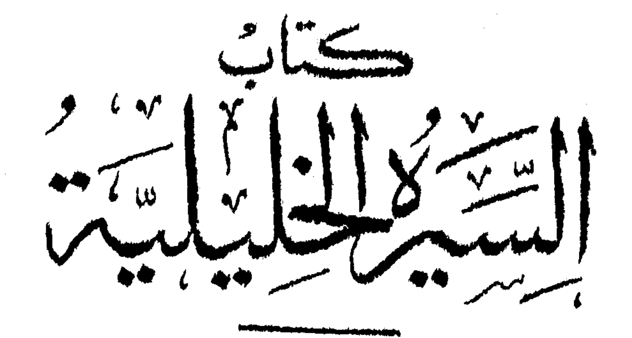


يشتمل على سيرة مولانا الغوث الاكبر

سيدى الشيخ محمد ابى خليل

وبيان وجوب الدعوة الى الله تعالى

واصول طريق السادة الصوفية وادابهم واخلاقهم

تاليف

عبد السلام الحلوانى

احد اتباع صاحب السيرة رضى الله عنه ونجل الاستاذ

العارف بالله (الشيخ احمد الحلوانى الخليلى) غفر الله لهم

الطبعة الاولى سنة ١٣٣٩ هجرية

﴿ المطبعة الوطنية — بشارع عباس — بالمنصورة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

يامالك الحمد هب لي من لدنك علما يسع به أدراكي كيف يكون حمدك وشكرك. فأحمدك وأثني عليك كما ينبغي لجلال عظمتك أنك أنت القوي القادر العظيم. وهب لي هداية من واسع رحمتك التي وسعت كل شئ لأستهديك بما يقبل لديك فتجيب طلبتي. وتهب لي بغيتي فأعرف منك ما يقربني إليك ولا يبعدني عن هداك. سبحانك لا إله غيرك ولا معبود سواك

أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك الذي أظهرته في آخر الأمر لأهل الباطن والظاهر بعد ما اخترته في الأول أن يكون هو الباطن والظاهر. نورك الذي لا يطفأ. وصفيك الوفي

الأوفى. فهو الشجرة التي أخذتها من كنز خفائك. فعرفتك بك لك من غير سبب ولا عجب. فظهرت محدثة وجودا في عالم وجود لا شرقية ولا غربية. تضئ مما أودع فيها من سر الأيجاد ومن أثر ذلك المؤثر (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهو ذلك المصباح الذي يضئ في حجاب كالزجاجة لا تحجب الضوء وانما تحفظه بعناية خاصة به ليظهر مع امتناع الوصول أليه. فتكون كالكوكب الدرى في مشكاة القدرة البارزة منفردة عن قدمية محدثها. جل من خلق ودبر. وأظهر فأبدع الظهور. وانفرد فاحتجب. وامتنع عن الظهور فظهر ولم يغب. وأحكم الظهور فاحتجب ولم يدرك. فهو الأول والآخر. والظاهر والباطن. وهو على كل شئ قدير

أسألك أن ترسل تحف طرائف شرائف صلواتك العظيمة وتحياتك الزكية النقية التي لا تتناهى دائماً أبداً. الى عظيم ذلك الجناب المقرب الذي اصطفيته لحضرتك سيدنا محمد النبي الأمي والرسول الصفي الوفي. صلاة تليق بمقامك

لمقامه كما تحب وترضى. عدد ما في علمك دائمة بدوامك وعلى آله وصحبه وشيخنا وآله وأتباعه والمسلمين آمين

وبعد فهذا موجز في سيرة سيدنا الأستاذ سلطان الذاكرين وتاج العارفين القدوة الكامل والقطب العامل الشيخ الجليل سيدي الحاج محمد أبي خليل رضي الله عنه وأرضاه جمع فيه شذرة من تاريخ حياته وبعض أعماله وأعمال من بعده وأذكاره وطريقه. من تصفحه وقرأه علم منه وجوب الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وما هي أحوال السادة الصوفية. وآداب الطريق والذكر. وكيفية العمل لله سبحانه وتعالى على الوجه المرضي وهو يشتمل على (مقدمة) في بيان دعوة الرسل. وظهور السادة الصوفية. والأصل في أخذ العهود. وعلى ثلاثة أبواب (الباب الأول) في سيرة سيدنا الأستاذ وأعماله ودعوته (والباب الثاني) في الذكر وفضله وأوراد الطريق (والباب الثالث) في بيان انتشار الطريق في حياته وبعد انتقاله. ونسأل الله أن يحسن خاتمتنا وأن يجعلنا من العاملين على المنهج القويم

مقدمة

قال الله تعالى (وَما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبدُون) سبحانه غني عن الخلق وعن العبادة وعن أعمال المحدثات قادر خلاق. يحدث ما يشاء. خلق الخلق وأحدث البرية إظهاراً لقدرته وإرادته. فعرفوه بأحداثه لهم وبقدرته عليهم فعبدوه بما فطرهم عليه. ودانوا له بالربوبية. فلا علة في الخلق ولا في العبادة. وهو القادر على كل شيء يخلق ما يشاء وله الإرادة والقدرة والعظمة والجلال

وقد نقل بعض الرواة في حديث قدسي عن الله سبحانه وتعالى (كُنتُ كَنزاً مَخفياً فأَردتُ أَنْ أُعرفَ فخلقتُ الخلقَ فَبي عَرفوني) فإن صح فمعناه كنت المنفرد ولا زلت أنا الواحد الأحد القادر المقتدر على كل شيء صاحب الإرادة التي قضت بإظهار خلق كما هو شأني فأحدثت خلقا بأمري وأودعت فيه سرا من علمي يميز به كيف خلقته ولأي

شيء أبرز الى الوجود فعرفني بما وهبته من التمييز فعبدني وبسري عرفني . سبحانه أنه على كل شيء قدير

أبرز قبل كل شيء نور الحقيقة المحمدية ثم خلق منه الخلائق كلها علوية وسفلية فالكل مستمد من نوره صلى الله عليه وسلم ثم خلق آدم من طين وسواه وأدرج فيه الروح المحمدية وأخذ عليه العهد والميثاق باعتقاد الربوبية دينا وألزمه كلمة التقوى واستخرج من ظهره ذريته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فكان صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى يقينا وقد أخذ الميثاق على النبيين لينصروا النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته بتوحيد الله تعالى وبالأقرار له بالربوبية كما ثبت في قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النبيينَ لَما آتيتكم مِنْ كتابٍ وَحِكمةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما معكم لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصرُنَّهُ قالَ أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري (أي عهدي) قالوا أقررنا قالَ فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط

لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الإسلام) سبحانه وتعالى أخذ العهد على آدم بتوحيده وعبادته وبالأقرار له بالربوبية وعلى ذريته وعلى رسله بذلك وأصبح هذا العهد أمانة عندهم يقومون بالوفاء به ولا ينقضونه .

نزول آدم الى الأرض وأخذه العهد على أولاده

ولما أراد سبحانه وتعالى أنفاذ أمره أبرز آدم الى الوجود في جنة قربه فكان بفطرته يؤدي أمانة ربه فيوحده مع الملائكة وأهل السموات حتى أكل من الشجرة بعد النهي عنها وهبط إلى الارض قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) وأقام على توحيده تعالى يسبحه ويذكره ويشكره والله سبحانه وتعالى يغدق النعم عليه ويريه بديع صنعه ويرزقه الذرية الكثيرة ويبارك فيه وفي ذريته ويرزقهم من ثمرات الأرض وجعل لهم فيها

جنات وأنهارا وأكثرهم . ومن هنا ترى أن الله تعالى أخرج آدم من الجنة فرداً وأسكنه الارض ورزقه التوبة. فرجع الى الله تعالى خاضعاً ذليلا ليكثر الله من ذريته ويزيدها أكثارا لتعود الي الجنة أمماً بدل أن كان فيها فردا ويضاعف له أجره وتكون الجنة له ولأولاده الصالحين.

سبحان من أذا لطف بعبده قلب المحن منحا

فلما ظهرت ذريته بلّغهم أمانة الله فأمرهم بتوحيده وأخذ عليهم العهد والميثاق بالقيام بأدائها قال تعالي (ذَلِكُمُ اللهُ رَبكم لاَ إِلهَ إلاَّ هوَ خالقُ كلِّ شيءٍ فاعبدُوه وهو على كلِّ شيءٍ وَكِيلٌ لاَ تُدْرِكهُ الأَبصارُ وَهوَ يُدرِكُ الأَبصارَ وَهوَ اللطيفُ الخبيرُ) وأمرهم بتبليغ ذلك لمن بعدهم ليكون قد أدى الأَمانة كما أمر. واستمرت هذه الوصية جاريةً في ذريته جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن

بعثة الرسل ودعوتهم

فلما طال عليهم الأَمد نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ونسوا الله فأنساهم أنفسهم لكن الله سبحانه وتعالي كان يُذَكِّرهم على ألسنة الرسل بعهد الله ليكون حجة عليهم فمن أنكره كان معاندا ناقضا له وكان جزاؤه جهنم وبئس المصير قال تعالى (أَلَمْ أَعهدْ إِليكم يَا بَني آدَمَ أَنْ لاَ تعبدُوا الشيطانَ إِنَّهُ لكمْ عَدوٌّ مبينٌ وَأَن اعبدُونى هَذا صِراطٌ مستقيمٌ) ومن عرفه وعاد إليه سلك مع الأَرواح الطاهرة الطيبة وامتد له النور الأصلي نور النبي صلى الله عليه وسلم فيزول عنه حجاب الضلال ويضيء له نور الهدى فيقيم على عهد الله وكان جزاؤه الجنة ونعم أجر العاملين

وكان الأنبياء والمرسلون يأتون في الأَوقات المناسبة لظهورهم عند تناسي هذا العهد ورضاء الناس بالحياة الدنيا والاطمئنان إليها وغواية الشيطان لهم وضلالهم عن معرفة الله فكانوا يؤدون الرسالة ويأمرون قومهم بعبادة الله كما أُمروا قال تعالي (وَتِلكَ حجتنا آتيناها إبراهيمَ على قومهِ

نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا
له إسحق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من
قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف
وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا
ويحيي وعيسى والياس كل من الصالحين . وإسماعيل
واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين . ومن
آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى
صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدي به من يشاء
من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون .
أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن
يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين .
أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)

وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا
نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

وقال تعالى (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

وقال تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم
اعبدوا الله مالكم من إله غيره)

وقال تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

وقال تعالى (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم
بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله
وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم)

وقال تعالى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن
اعبدوا الله ربي وربكم)

فكانت دعوة الرسالة لها سطوة تفزع القلوب
لأن الله أيدهم بروح منه وقوة تسوق القلوب وتوقظها
من الغفلة فتنقاد مقهورة طائعة باذن الله قال تعالى (وما
أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله)

ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

فلما ظهر نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين . وإمام المرسلين . وحبيب رب العالمين . وقائد المتقين إلى طريق الخير .(صلى الله عليه وسلم)أدى الأمانة ونصح العباد وأمرهم بطاعة الله تعالى وتوحيده وظهرت له الآيات والمعجزات وسطع نور الأسلام . وأشرقت له القلوب . وابتهجت الأرواح . ومع ذلك فقد جاهد في سبيل الله حق جهاده وقال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله الا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)

وأنزل عليه الكتاب بالحق يأمر بتوحيد الله تعالى وطاعته قال تعالى (قُل ياأيها الناسُ إني رَسولُ اللهِ إليكمْ جميعاً الذي لهُ ملكُ السمواتِ والأرْضِ لا إله إلاّ هوَ يُحيي ويميتُ فآمنوا باللهِ ورَسوله النبيّ الأميّ الذي يؤمنُ باللهِ

وكلماتهِ واتّبعوهُ لعلكمْ تَهتدون) فقام صلى الله عليه وسلم بالأمر ودعا قومه وأخذ عليهم العهد والميثاق أن لايشركوا بالله شيئا وعلى إقامة الحدود وعلى نصرته وبايعته الصحابة على ذلك فجاهدوا فى الله وهاجروا معه ونصروه في هجرته فنعم المهاجرون ونعم الأنصار

وكان صلى الله عليه وسلم يغزو الكفار والمشركين في سبيل الله فكان يقوم معهم الغزوة بعد الأخرى يقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله وكان يرسل السرايا من أصحابه يؤمر على كل سرية رجلا منهم من ذوى الخبرة والصلاح يدعو الناس الي الدين ويقاتلهم حتى يؤمنوا بالله ورسوله فإذا آمنوا يأخذ عليهم البيعة للنبي صلى الله عليه وسلم بدليل ما ورد في البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فأن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على

فقرائهم) قاله لمعاذ حين بعث الى اليمن

فانتشر دين الاسلام وظهر كالشمس لا يحجبه ظلام الكفر ولا يجحده إلا من مال الى الحياة الدنيا واطمأن اليها فباء بغضب من الله نسأل الله السلامة في الدنيا ويوم الدين

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لمن أراد الهداية والسلوك على منهجه القويم فقد كان كاملا مكملا خلقاً وخُلقاً وإيماناً وعلما لم يخلق مثله مطلقاً

وكان يدعو قومه بالحكمة والموعظة الحسنة وكانوا يؤذونه وهو يقول: (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) فلم يكن أحسن منه أخلاقاً ولا يمكن أحداً أن يمدحه صلى الله عليه وسلم بأكثر مما مدحه الله تعالى به في قوله تعالى (وإنك لعلى خُلق عظيم) ولم يقبضه الله سبحانه وتعالى من بين قومه حتى أكمل لهم دينهم وأتم نعمته عليهم كما قال في كتابه العزيز (اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكمُ الإسلامَ ديناً)

وقد ورد فيما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سُئل عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال أجلْ والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخابٍ في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً

دعوة الخلفاء

فلما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى خلفه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه فدعا الى الله تعالى بدعوته وجاهد في سبيل الله تعالى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمده الله بمدده وكان فيهم نور النبوة لهم الهمة

المشهودة . والقوّة المعهودة . فبايعوه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا معه قلباً وقالباً . قال تعالى (مُحمدٌ رَسولُ الله وَالذينَ معهُ أَشِداَّءُ على الكُفارِ رُحماءُ بَينهمْ تَراهمْ رُكَّعاً سجداً يَبتغونَ فَضلاً مِن الله وَرضواناً سيماهمْ في وُجوهِهمْ منْ أَثرِ السجودِ ذلكَ مَثلهمْ في التوراة وَمثلهمْ في الإنجيلِ كَزرعٍ أَخرجَ شطأهُ فآزرهُ فاستغلظَ فاستوي على سُوقه يعجبُ الزُّراعَ ليغيظَ بهمُ الكفارَ وَعدَ اللهُ الذين آمنوا وَعملوا الصالحاتِ منهمْ مَغفرةً وأَجراً عَظيما)

فلما انتقل خلفه سيدنا عمر رضى الله عنه وسار على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من سمى أمير المؤمنين فدعا إلى الله تعالى وأقام الدين وحكم بالعدل بين المسلمين . فلما انتقل خلفه سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم سيدنا عليّ رضي الله عنه . وهكذا استمرت هذه الدعوة في الخلفاء الراشدين ثم التابعين على منهجهم المتين . ثم تابع التابعين . ونور النبوّة بين أيديهم يعملون على وجه

الأخلاص وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرون الناس بأيام الله ويأخذون عليهم العهد والميثاق بتوحيد الله وعبادته فكانت قلوبهم صحيحة لا تدخلها أمراض الباطن كحب الدنيا والكبر والعُجبُ والرياء والحسد والحقد وغير ذلك مما يبعد العبد عن ربه

فلما جاء آخر القرن الثالث كثرت الفتن وظهرت هذه الأمراض في القلوب وأصبح الامام الحاكم على الناس يتقلد تقاليد الملوك ولا ينظر إلى دعوة الدين وكثرت الأقاويل في الدين والفتاوي والشبه في التوحيد ويرجعون إلى العلماء في المهمات فاشتغلوا في النظر والاستدلال وكثرت الفرق . وظهر اختلاف الآراء . والميل الى البدع والأهواء . وقد صدق في هذا حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (خيرُ القرونِ قرني ثم الذين يلونهم ثمَّ الذينَ يلونهمْ) وفي رواية مسلم (خيرُ الناسِ القرنِ الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث)

وقد كانت الأوائل من الصحابة والتابعين رضوان

الله عليهم أجمعين لايحتاجون إلى تدوين الكتب لأن التعبد كان بينهم عمليا ولم يكن هناك أثر للاختلاف لصفاء عقائدهم . وبركة صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فكان لمعان نوره في القلوب أمانًا لهم فقامت العلماء على أثر الفتن التي ظهرت يدوّنون الأحكام الشرعية ويبينون كيفية العمل وما يصح اعتقاده . ومالا يصح ليستفيد منها من يريد العمل لكن كثرت الأستدلالات واستنباط الأحكام وغيرها من طرق دفع الشبه التي أوجبت التهويش على العقول فأصبح العلم رسمًا والعمل قليلا

ظهور السادة الصوفية

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلها كانت أمته آخر الأمم وأفضلها وقد مدحها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فقال تعالى (كُنتم خيرَ أمّةٍ أُخرجتْ للناسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عن

المنكَر وتؤمنونَ بالله) ولما كان دينه صلى الله عليه وسلم قائما على الحق على الدوام أراد الله سبحانه وتعالى أن يؤيده بالعاملين من أمته صلى الله عليه وسلم فظهرت هذه الطائفة المشهورة بالسادة الصوفية وكانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى قائمين على توحيده وحبه والأكثار من ذكره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلاحظهم في مسجده فجاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين يدعوه لتقسيم الخمس من الغنيمة وقال له دع هؤلاء فنزلت هذه الآية وهي قوله تعالى (واصبرْ نفسكَ معَ الذينَ يدعون ربّهمْ بالغداة والعشيّ يُريدون وجههُ ولا تعدُ عيناكَ عنهمْ تُريدُ زينةَ الحياة الدُّنيا ولا تُطع منْ أغفلنا قلبه عنْ ذِكرنا واتّبع هواهُ وكان أمرهُ فُرُطا)

قال بعضهم ماسميت الصوفية صوفية الا لصفاء باطنهم حيث صفا لهم الوقت بالعمل الخالص وصفّاهم ربهم

واصطفاهم لقربه وصفا معهم فمن صوفي سمى الصوفي .
وقال القطب الشعراني . التصوف عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة كما انقدح لعلماء الشريعة حين عملوا بما علموه من الأحكام

وقد أجمع العارفون أنه لايجمع العبد على ربه ويوصله إليه الا ذكر الله تعالي والمداومة عليه وخلوة القلب به كما كانت الأنبياء تفعل ذلك وتبعتهم الأولياء . فالمؤمن لايكون مؤمناً حقاً الا اذا جعل حبه كله لله سبحانه وتعالي ولرسوله . لقوله عليه الصلاة والسلام (لايؤمن أحدكم حتي يكون الله ورسوله أحبّ اليه من روحه التى بين جنبيه)

في الوقت الذى ظهرت فيه الفتن قامت هذه الطائفة ودعوا الي الله ورسوله على بينة منه كما أمروا . قال تعالي (ولتكنْ منكمْ أمةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ويأمرُون بالمعروفِ وينهوْن عن المنكرِ وأُولئك همُ المفلحونَ) وفي

هذه الآية ما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية لا فرض عين إذا قام به فريق سقط الفرض عن الباقين قال تعالي (والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهم أَوْلياءُ بعضٍ يأمرُون بالمعروف وينهوْنَ عنِ المنكرِ ويُقيمونَ الصلاةَ) فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فمن هجر ذلك كان خارجاً عن هؤلاء المؤمنين . وقد ورد فى كتاب الله تعالى ما يؤيد التشديد على ترك النهي عن المنكر فى هذه الآية قال تعالى (لُعنَ الذينَ كَفرُوا مِنْ بَني إسرائيل على لِسانِ داوُد وعِيسى بْنِ مَريمَ ذلكَ بما عَصوْا وكانُوا يعتدُون . كانُوا لا يَتناهوْن عَنْ منكرٍ فعلوهُ لبئسَ ما كانُوا يفعلونَ) وقد بشر الله سبحانه وتعالى بنجاة من يقوم بالنهى عن المنكر في جملة آيات منها قوله تعالى (فلمَّا نَسوا ما ذُكِّرُوا به أَنْجينا الذينَ ينهوْنَ عن السُّوء وأَخذنا الذينَ ظلموا بِعذابٍ بئيسٍ بِما كانُوا يفسقون)

وقال تعالى (إنَّ الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثُمَّ استقاموا تتنزَّلُ عليهمُ الملائكةُ ألاَّ تخافُوا ولا تحزنُوا وأبشروا بالجنةِ التي كنتمْ توعدُون. نحنُ أَولياؤُكُمْ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة ولكمْ فيها ماتشتهي أنفسكمْ ولكمْ فيها ماتَدَّعون. نُزلاً منْ غفورٍ رحيمٍ. ومن أحسن قولاً ممنْ دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئةُ ادْفعْ بالتي هي أَحسن فإذا الذي بينكَ وبينهُ عداوةٌ كأنه وليٌّ حميمٌ. وما يُلقَّاها إلا الذين صبرُوا وما يُلقَّاها إلاَّ ذُو حظٍ عظيمٍ)

فدعوا إلى الله تعالى وصبروا على مشقات العبادة وعلى معالجة القلوب من أمراضها. وعلى قهر النفس وجهادها. وصابروا وثابروا في الدّعوة إلى الله تعالى بإخلاص. ورابطوا بالمداومة عليها كما أمر الله ورسوله. واتقوا ربهم في عملهم فتبرءوا مما سواه فأفلحوا. وجزاهم ربهم بما صبروا جنةً وحريرًا

فقاموا يداوون هذه الأمراض ويصفون الدواء

ويعلّمون الناس كيف العمل الصحيح على ما أخذوه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعماله وفعل الصحابة والتابعين والسلف الصالح علماً وعملا فهم العلماء حقيقة العاملون بما علمهم الله تعالى على وجه الإخلاص وهم ورثة الأنبياء في دعوتهم. وأمدّهم الله سبحانه وتعالى بما كان يمدّ به الأنبياء والمرسلين من نور الهداية. قال تعالى (وما كانَ عطاءُ ربّكَ محظوراً) «أي ممنوعاً» وجعل لهم نوراً يمشون به فلا يضلون فكانت دعوتهم تؤثر في القلوب لأنها خالصة لله ولوجهه الكريم. قال تعالى (أوَمنْ كانَ ميْتاً فأحييْناه وجعلنا له نُوراً يمشي بِهِ في الناسِ كمنْ مثلهُ في الظلماتِ ليسَ بخارجٍ منها)

وقد استمرت دعوتهم قائمة على الحق يعملون بما علمهم الله تعالى يقيمون الشرع الشريف. ويتخلقون بالأخلاق المحمدية لأن الله تعالى اتخذهم لحضرته واصطفاهم لخدمته وطهرهم من رجس الأغيار. وكساهم حلل الأنوار وأفاض عليهم بما فتح لعين قلوبهم من أنوار المعارف الإلهية.

فهم أهل الأحسان الواردون في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو ماروى عن سيدنا عمر رضى الله عنه قال (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الأسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال صدقت فعجبنا له يساله ويصدقه . قال فأخبرنى عن الأيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت . قال فأخبرنى عن الأحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فأنه يراك . قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرنى عن أماراتها قال أن تلد

الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان . ثم انطلق فلبث ملياً . ثم قال ياعمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فأنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم رواه مسلم)

فمن هذا الحديث تعلم أن مقام الأحسان فوق مقام الأيمان لأنه مقام مراقبة الله تعالى . وهؤلاء أيضاً هم السابقون بالخيرات بإذن الله تعالى قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير)

ولو جزمنا وقطعنا بأنهم هم ورثة الأنبياء الوارد فيهم حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فى قوله عليه الصلاة والسلام (العلماء ورثة الأنبياء) وهي الرتبة المطلوبة للعلم بالله تعالى والتقرب إليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا طلع على يوم لاأزداد فيه علماً يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى في طلوع شمس ذلك اليوم) بل

لو قلنا أنهم هم الأولياء (١) الذين يتولون الناس لهدايتهم وإقامة البرهان لهم فإنما يكون لما نراه فيهم من إقامتهم

---

(١) — الولى — فى أسماء الله تعالى هو الناصر . وقيل المتولى لأمور العالم والخلائق القائم بها . وورد فى الحديث من أسلم على يد رجل فهو مولاه أى يرثه كما يرث من أعتقه — وفى الحديث أنه سئل عن رجل مشرك يسلم على يد رجل من المسلمين فقال هو أولى الناس بمحياه ومماته أى أحق به من غيره . قال ابن الاثير ذهب قوم إلى العمل بهذا الحديث واشترط آخر أن تضيف إلى الأسلام على يده المعاقدة والموالاة . وذهب أكثر الفقهاء إلى خلاف ذلك. وجعلوا هذا الحديث بمعنى البر والصلة ورعى الذمام اه من لسان العرب

— الولى — له مواضع فى كلام العرب . منها المولى فى الدين وهو الولى وذلك قوله تعالى (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم) أى لا ولى لهم

وقوله عليه الصلاة والسلام مزانة وجهينة وأسلم وغفار موالى الله ورسوله أى أولياء الله — والمولى الحليف وهو من انضم إليك . فعز بعزك . وامتنع بمنعتك

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تولانى فليتول علياً معناه من نصرنى فلينصره . وقوله عليه الصلاة والسلام (اللهم وال من والاه) أى أحبب من أحبه . وانصر من نصره

قال ابن الاعرابى والى فلان فلاناً إذا أحبه . قال عمر رضى الله عنه لسيدنا على كرم الله وجهه أصبحت مولى كل مؤمن أى

على الهدى (١) وطريق الحق يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم لايضرهم من خالفهم على مر الدهور والأيام . وينطبق عليهم ماورد عن رسول الله صلى الله

ولى كل مؤمن . وقيل سبب ذلك أن (أسامة) قال لعلى رضى الله عنه وكرم الله وجهه لست مولاى إنما مولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه وقوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) قال أبو اسحاق الله وليهم فى حجاجهم وهدايتهم وإقامة البرهان لهم لأنه يزيدهم بإيمانهم هداية كما قال عز وجل (والذين اهتدوا زادهم هدى) ووليهم أيضاً فى نصرتهم على عدوهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم . وقيل وليهم أى يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم (وتولاه اتخذه ولياً)

وقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم) معناه من يتبعهم وينصرهم اه

(١) فى الحديث الهدى الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة . قال ابن الاثير الهدى السيرة والهيئة والطريقة —

ومعنى الحديث أن هذا الحال من شمائل الانبياء أى من جملة خصالهم وأنها جزء معلوم من أجزاء أفعالهم وليس المعنى أن النبوة تتجزأ ولا أن من جمع هذه الخصال كان فيه جزء من النبوة فان النبوة غير مكتسبة ولا مجتلبة بالاسباب وانما هى كرامة من الله سبحانه وتعالى. وتخصيص هذا العدد مما يستأثر النبى صلى الله عليه وسلم بمعرفته

عليه وسلم في قوله (لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) فهم نصراء دين الله تعالى وهو وليهم. قال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقال تعالى (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) وقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) وقال تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) فكانوا يدعون على بصيرة كما يعلمهم الله تعالي ويلهمهم.

قال تعالي (واتقوا الله ويعلمكم الله)

فمن نظر بعين الاخلاص وطلب الحق وأحسن الي نفسه ولم يظلمها وطلب الدار الآخرة ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم والسير على منهج الأولياء والصالحين فعليه أن يبحث عن هؤلاء القوم المار ذكرهم فأنهم في بقاع الأرض بل يجب ذلك على كل مسلم ويتعين عليه لأنه من الضروريات ليتخلق بأخلاقهم. ويتأدب بآدابهم. ويعامل ربه معاملة إخلاص

وقد حث الشرع على إزالة أمراض الباطن . ووردت بها الأحاديث والآيات ولم يسلم من هذه الأمراض إلا من رزقه الله السلامة في الدين كالأئمة المجتهدين الذين عملوا بما علموه على وجه الاخلاص

ولذا فان هؤلاء القوم تواصوا بينهم وتبايعوا على هذه السنة ولقنوا بعضهم بعضاً كلمة لا إله الا الله وتوارثوا هذه البيعة جيلاً بعد جيل من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي الآن كما سيأتي فكانت فيهم خلافة الدعوة

الصادقة الى الله تعالى

وكان يظهر في كل عصر من يجددها بخوارق العادات فتظهر على يديه الكرامات إكراماً منه سبحانه وتعالى ليلفت القلوب إليه وتجتمع عليه الناس وطبقات الأولياء مشحونة بأعمالهم فتراهم مصابيح الهدي وكواكب الأخلاص وشموس اليقين يسطع نورهم فى كل عصر لهم المناقب العالية والكرامات الظاهرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَبعثُ اللهُ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ رجلاً مِنْ أهلِ بيْتِى يُجدِّدُ لها أمرَ دِينِها) رواه الأمام أحمد بن حنبل — فمن نهج منهجهم وما هو إلا منهج الشرع وتأدب بأدابهم وما هو إلا آداب النبي صلى الله عليه وسلم وتعلّم من علمهم وما هو إلا ما علّمه الله لهم فاز بالرضا وحسن الختام

الأصل فى أخذ العهود

أما الأصل فى أخذ العهود فمأخوذ من الشرع الشريف بدليل ما ورد في القرآن وما فعله النبيّ صلى الله عليه وسلم

وأعمال الصحابة والتابعين والسلف الصالح

فالمعاهدة هي عبارة عن عقد قطعه الشخص على نفسه بينه وبين ربه على طاعة الله ورسوله والأقرار له بالوحدانية وارتباطه مع غيره فيه دليل على أشهاده على هذا العقد. والمحالفة عليه والجماعة فيه لاتحاد القلوب ولاخلاصها. والمعاونة على العمل والمثابرة عليه. والتخلق بالأخلاق الفاضلة. والعمل عليها. ومجاهدة النفس . ومداواة الأمراض الباطنية التي تضعف القلب وتميته وتبعده عن مولاه

وقد ورد الكتاب بالأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (وَمَا آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُمْ عنه فانتَهُوا) وقال تعالى (يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولى الأَمرِ مِنكُمْ) وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرع نقى يأمر بتوحيد الله تعالى وطاعته وقد حث على ذكر الله تعالى كما أمرنا به القرآن مما سيُسرد عليك فى باب فضل الذكر والأمر به

وحثنا على اتباع سنة الخلفاء الراشدين من بعده فقال (مهما أوتيتم في كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه فأن لم يكن في كتاب الله فسنة ماضية فأن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة) رواه البيهقي في المدخل والطبراني والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً وذكره جم غفير من العلماء وأخذ به الأصوليون

قال تعالى (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) والمراد بأهل الذكر العلماء العاملون الذين يعملون لله قال تعالي (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ) وهم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم واتباعهم على كل إنسان حتى الملوك لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

وقد ثبت أن المعاهدة هي على الإقرار بالوحدانية لله تعالى والطاعة والتوبة وقد ورد بها القرآن وأن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على النبيين والمرسلين وعلى أصحابهم فقال تعالي

(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) وقال تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منكم ميثاقاً غليظاً . ليسأل الصادقين عن صدقهم)

وقال تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار

وقال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به)

وقال تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به

وقال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا

الشَّيطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مبينٌ . وأنِ اعْبُدُوني هَذَا صِرَاطٌ مُستقيمٌ)

لذلك كان أخذ العهد على طاعة الله تعالى من الأمور الشرعية . وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بدليل ماورد فى كتاب الله تعالى (إنَّ الذين يبايعونكَ إنَّما يبايعونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوقَ أَيْديهمْ فَمنْ نَكثَ فإنَّما يَنكُثُ على نَفسهِ)

وقال تعالى (يا أَيُّها النَّبيُّ إذَا جَاءَكَ المؤمناتُ يبايعنَكَ على أنْ لا يُشركْنَ بِاللهِ شيئاً ولاَ يسرقْنَ ولاَ يَزْنِينَ ولاَ يَقتُلْنَ أَوْلادَهنَّ ولاَ يأْتِينَ بِبُهتانٍ يَفْتَرِينَه بَينَ أَيْديهنَّ وأَرْجلِهنَّ ولاَ يَعصينكَ فِي مَعروفٍ فَبايعهُنَّ واسْتغفرْ لَهنَّ اللهَ)

وعنْ عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال ألا تبايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئاً ولا تَسرِقوا ولا تَزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق (وفي أخرى) ولا تقتلوا

أولادكم ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه فبايعناه على ذلك . رواه الخمسة كما فى تيسير الوصول . وروى مسلم من بايع إماماً أعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع . وعن عبادة ابن الصامت قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر . والمَنشَط والمَكرَه . وعلى اثرة علينا وعلى ألاّ ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف في الله لومة لائم وعن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وقلنا علام نبايعك يارسول الله قال على أن تعبدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئاً وتصلوا الخمس وتسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية قال ولا تسئلوا الناس شيئاً . قال فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط

سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه أخرجه مسلم

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعتم. أخرجه الستة كما في تيسير الوصول

فالميثاق بنص الحديث إنما هو عهدٌ على الأيمان والتبرؤ من الشرك وعلى طاعة الله ورسوله . وقد ورد فيما رواه الطبراني والبزار رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقن أصحابه كلمة لا إله إلا الله جماعة وفرادى فأما تلقينه جماعة فقد روى شدّاد بن أوس . قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم غريب (يعني أهل كتاب) فقلنا لا يارسول الله فأمرَ بغلق الباب (١)

(١) أقول وانما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باغلاق الباب وقال هل فيكم غريب يحتمل أن يكون ذلك فى بدء الاسلام فلا يريد أن يلقنها فى حضرة من لايؤمن بها ولتكون الجماعة على قلب رجل واحد ليس فيهم من يخالفهم لتحفهم رحمة الله ويقبل عملهم وحتى لايكون القلب مشغوناً بغيرالله بسبب وجود الاجنبي فيقولوها باخلاص . ولذا قال أبشروا فان الله قد غفر لكم

وقال ارفعوا أيديكم وقولوا لاإله إلا الله فرفعنا أيدينا وقلنا لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهمّ إنَّكَ بَعثتني بهذِه الكلمةِ وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنةَ وإنَّكَ لا تُخلفُ الميعاد . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فانَّ الله قد غفر لكم

وأما تلقينه فرادى فقد قال الامام عليّ رضي الله عنه وكرّم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعليّ عليك بمداومة ذكر الله عزَّ وجلَّ سراً وجهراً فقال عليّ رضي الله عنه وكرّم الله وجهه كل الناس ذاكرون وأريدُ أن تخصني بشيء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعليّ أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ولو أنّ السموات السبع والارضين السبع في كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله . ياعلى لا تقوم الساعةُ وعلى وجه الأرض

من يقول لا إله إلا الله قال عليّ كيف أذكر فقال غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم قل أنت لا إله إلا الله ثلاث مرات وأنا أسمع . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعلى يسمع ثم قال عليّ لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع

ولقد ثبت أن سيدنا علياً رضي الله عنه لقن الحسن البصري وهو لقن حبيباً العجمي وثبت أن سيدنا أنساً ابن مالك لقن غيره . وثبت أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه لقن غيره . واستمر التلقين وأخذ العهد إلى وقتنا هذا وتجد ذلك مثبتاً بأسانيد من عهدهم الى وقتنا هذا (١) بطريق التسلسل . ولقد ورد أن النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري . قال اثنان خير من واحد . وثلاثة

(١) لاتزال الآن مشيخة السادة الصوفية بمصر لها إدارة كبيرة تثبت فيها رجال السلسلة لكل فرع بالاسانيد والاشهادات كابرا عن كابر بالاجازات الرسمية تقيد بدفاتر مخصوصة اهـ

خير من اثنين . وأربعة خير من ثلاثة . وان الله لن يجمع أمتي الا على هدى . واجتماع الصحابة والتابعين وتابعيهم الي وقتنا هذا على العمل المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ومما فعله الانبياء والمرسلون من قبل وما أخذه الله عليهم دليل على أنه هو الطريق المطلوب وهو الخير كله

وقد رأينا أن هذه الطائفة المباركة طائفة السادة الصوفية هي التي قامت بالدعوة وثابرت عليها وكانت في دعوتهم البركة والمدد النبوي بسبب الاخلاص في النيه وصدق العزيمة وصفاء الباطن ورأينا أن عامة الناس يأتون اليهم ويأخذون عنهم فيهتدون ويستمرون في الطاعة وتحصل لهم بركتهم بخلاف غيرهم

فكم نسمع وعظاً وإرشاداً من غيرهم ولكن لا يؤثر كما تؤثر دعوتهم ويذهب دعاؤهم ودعوتهم من غير تأثير وذلك لأن السادة الصوفية يأمرون بما يأمرون ويعملون على وجه الاخلاص الحق فلا عبرة بمن يعارض هؤلاء القوم من غير عمل فأنه إنما يكون مريض القلب لا يريد

عملاً وإنما يريد جدلاً ويدّعي أنه على علم مع أن العلم المقصود هو العلم بالله والعمل له . قال عليه الصلاة والسلام (إنَّ اللهَ لاَ يَقبضُ العلمَ انتزاعاً ولكنْ يَقبضُه بموت العلماءِ حتى إذا جاء آخرُ الزمانِ اتّخذَ الناسُ رؤوساً جهّالاً فأفتوا بغيرِ علمٍ فضلّوا وأضلّوا) والمراد بالعلماء العارفون بالله العاملون له

وعلامة داعي الحقّ أن يدعو الى الله تعالى على ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتاب الله تعالى والعمل به فتنجذب له القلوب . ولذلك سموا السادة الصوفية أهل الحق . فالمعاهدة إنما هي محالفة على الطاعة لارتباط القلوب بعضها ببعض . وللتعاون على البرّ والتقوى وللخروج عن الصفات الذميمة بمصاحبة عاملٍ من أهل الحق سلك هذا السبيل يرشده إلى الكمالات وإلى التخلق بالأخلاق المحمدية عملاً . ولذا تمسّك به كثيرٌ من العلماء العاملين وعضوا عليه بالنواجذ وحثوا عليه . وها هي أعمالهم وكتبهم تشهد بذلك

وصفة الشيخ الذي يجب الأخذ عنه ومصاحبته هو الذي فتح لعين قلبه أنوار المعارف الإلهية بسبب تخلقه بالأخلاق المحمّدية . وأن يكون كاملاً عاملاً سائراً على الكتاب والسُّنّة فيزنه من يريد معاهدته بميزان الشرع قبل الأَخذِ عنه ومتى وجده مقتفياً آثار القدم المحمدي فليطلبْ رضاءَ الله في رضائه ويصاحبه ويلزمه . ويعتقد أنه أكمل أهل عصره ويتأدب معه فعساه أن يكسى خلعة ليصفو بها باطنه من الشهوات ولا يشترط فيه أن يكون حافظاً للكتب عالماً بالمسائل المدوّنة فيها المحدثات والجدليّات وفلسفة الأشياء وغيرها . وإنما يشترط فيه التقوى والكمال ويكفيه من علوم الدنيا ما تمس إليه الحاجة في طريق سيره الى الله تعالى فأن الله تعالى يرزقه العلم الوافر والتمييز والفهم الدقيق ويعلمه ما يشاء ليدعو إلى الله تعالى على بصيرة على طريق وراثة المقام المحمدي . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلمَ مَالمْ يَعلم) أما إذا خالف ذلك وكان ميالاً لحب

الشهوات مع اعتقاده كمال نفسه ولو كان كثير العبادة ظاهراً فأن ذلك جهلٌ منه وعُجبٌ والعُجبُ حرام وأهل الكمال لا يرون لأنفسهم عملاً

ولقد جمعنا الله سبحانه وتعالي في عصرنا هذا على شيخٍ جليل . وغوثٍ لا يحتاج إلى دليل . وزنّاه بميزان الشرع فوجدناه على نورٍ من ربه فأخذنا عنه طريق القوم وسلكنا على يديه كما سلك عليه غيرنا من أبناء العصر وانتفع به الجم الغفير من أبناء عصره واشتهر أمره بين الناس حتى صار طريقه معروفاً بأنه طريق الهدى طريق الشرع طريق الحق . ولا أسوق إليك أخبار الماضين الذين تقدّموا وجاهدوا حتي نالوا رضا الله . وأنما أسوق إليك ترجمة حياته وأعماله وسيرته مفصلة كما شاهدنا برأى العين لتعلم كيف سار القوم على منهج الشرع وكيف يؤخذ عنهم وكيف يتأدب مع الله بآدابهم . نفعنا الله تعالى بهم آمين

الباب الأول

ظهور الأستاذ الكامل الشيخ أبي خليل في هذا العصر وسيرته ودعوته

في أوائل القرن الرابع عشر ظهر قطب هذا العصر الغوث العامل سلطان الذاكرين . وتاج العارفين . وقدوة العاملين . وحبل الواصلين . والشمس التى أشرقت على القلوب فانتعشت . وبسط عليها شعاع الأخلاص فانبسطت . وأمطر عليها غيث الرحمة فَرَبَت . وبذر فيها بذور المعرفة فأنبتت . وسقاها من ماء إيمانه فنمت . ولاحظها بروح المناجاة فأينعت . وتعهدها بالحراسة من عبث الشياطين . وتعدى المفسدين فحفظت حتي أثمرت . وعرفت مولاها وخالقها سبحانه وتعالى معرفة حقيقة فابتهجت . ودبت فيها روح الحياة الطيبة فألهمت . وأعطاها معطي النعم علماً من لدنه خالصاً من شوائب الأغيار فطهرت من رجس

الظهور و منْ نفثات الشياطين فعملت بما علمت . وسارت بسير أهل الحقيقة على ناموس الشريعة فسلكت . وظهر الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . وقامت على ذكر الله فخشعت . وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا فآمنوا به إيماناً سلك بهم إلى معرفة نفوسهم ومن عرف نفسه فقد عرف ربه (١)

وذلك هو الأستاذ الجليل . والشيخ العظيم الذى ليس له مثيل . سيدى وأستاذى وقدوتى إلي الله تعالى سيدي الشيخ (محمد أبو خليل) رضى الله عنه وأرضاه وأمدّه بروح تجلياته في سلك حضرة أنبيائه صلى الله عليه وسلم

---

(١) المعنى أن من عرف أن له قلباً ولساناً ويدين وعينين وأذنين ورجلين وأن الروح متسلطة على هذه الجوارح تسيرها بحسب الارادة فيتكلم بلسانه نطقاً بألفاظ معلومة معبرة عن الروح ويتكلم باليد كتابة ويمشي على الرجل حسب إرادة الروح ويبطش باليد حسب إرادتها أيضاً ويسمع ويبصر كما يريد عرف أن الكل مخلوق وأن الله يصير المخلوقين بحسب إرادته سبحانه وتعالى ومن عرف نفسه بأنه خلق من عدم وأنه صائر إلى الموت عرف أن له رباً خلاقاً دائم الحياة وهكذا فمن تفكر عرف اهـ

ظهر رضي الله عنه في فترة كاد الحقّ فيه يطمس بين أمة منصرفة عن الطاعة إلى اللهو واللعب والفسوق والعصيان وتقليد أهل الزيغ . وقلّ أن تجد من يفكر فى اتباع أوامر الشرع إلا القليل منَ المؤمنين وفي وقت كانت المعاهد والمدارس عامرة بالعلوم الحديثة والطبعيات وما أشبه ذلك من العلوم التى استنارت بها العقول وأزهرت بها المدارك وظهر منها المدهشات من المخترعات الغريبة . وظهور خواص الأشياء وكثرة البحث في المعقولات وفى فلسفة الأشياء ولكنها منصرفة عن علوم الدين والعمل به حتى كان المؤمن الذى يعمل بأوامر الله ممقوتاً من أهل التمدين الحديث ويعدّونه مجنوناً أو معتوهاً أو به خبل فهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدُّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون

فلما ظهر رضى الله عنه ساق النفوس إلى معرفة ربه بمدد نبوى حقيقى أمدَّه الله به من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ولحظه بعين عنايته . ووالاه برعايته . ودعا

الناس إلى العبادة والطاعة . فانتشرت دعوته وسطعت أنواره وبزغت له الأرواح فأمدّها من نور روحه الطيبة العالية . فبذر فيهم بذور الحبّ فاشتاقوا إلى مولاهم وقادهم إلى محبته فهاموا وقاموا على ذكره فتلذذوا . ومن أحبّ شيئاً أكثر من ذكره

فكان رضى الله تبارك وتعالى عنه لهم شمس الحقيقة من مشكاةِ ذى الجلال . وما زال يجاهد ويدعو بسرّ يبعثه الله فى القلوب فتؤمه الناس حتى انتهت اليه الرياسة في هذا العصر فكان مع الكياسة والفطنة والذكاء ورجحان العقل الموهوب يقيم وزن الحقيقة بالقسط على دعائم الشرع فسلك المسلك القويم وأبان السبيل . وهدي الناس إلى طريق مستقيم

ترجمة حياته

ولد رضي الله عنه من أسرة عربية شريفة ذات

حسب ونسب. لأن جدّه نزح من اليمن إلى مصر أميراً من الأمراء (السناجق) الذين عُينوا من قبل الدولة العثمانية بالبلاد المصرية لإدارة شؤونها . وكان صالحاً تقياً شريفاً ينتهى نسبه إلى مولانا الحسين رضى الله تعالى عنه فتنقل في بعض بلاد القطر وتزوّج والده بوالدة سيدى الأستاذ رضى الله تعالى عنه من أسرة شريفة بناحية سنورس من أعمال الفيوم من سادة العرب الأشراف بها وهى تدعى أسرة سليم . ثم انتقل بها إلى قرية (القضابة) من أعمال الغربية . وفيها ولد سيدنا الأستاذ رضى الله عنه ثم انتقل إلى كفر النحال . وفيها نشأ الأستاذ رضى الله تعالى عنه فشبّ على الطاعةِ وعلى العبادة في حجر والديه حتى انتقل والده رحمة الله عليه إلى الدار الآخرة . فعاش الأستاذ بعده وكان لا يملك شيئاً فاشتغل بالتجارة مع اشتغاله بالعبادة . وكانت الناس والتجار يعلمون منه من الصدق والأمانه فيجيئونَهُ واشتهر بينهم بذلك وكان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب . ومع ذلك فكان لا يحتاج إلى

حاسب بحسب ماله وما عليه بل كان بقوة إدراكه بحسب القليل والكثير بغاية الدقة

وأخذ طريق سيدى على البيومى على شيخه الشيخ شناوى يوسف الذى كان وقتئذ بالزقازيق . وكان من أكابر المسلكين فكان سيدى الأستاذ يداوم على مجالس الذكر والحضرات بين يديه فكان يري فيه نجابة الأولياء . وصفاء الأتقياء . وعمل النجباء . حتى كان يرى له أحوالاً خارقة فكان يجله ويحترمه من بين إخوانه

وكان حاله الذكر الدائم فكان يذكر في الليل والنهار حتى وهو يشتغل بالتجارة . وكان يقوم الليل فى المسجد يذكر الله تعالى وحينما يجد النوم غلبه يقوم ويتوضأ ويصلى فيتهجد . وكان ينزل الماء البارد ليبرد فيذهب عنه النوم . واستمر على ذلك مدة حتى نزل مرة فى الماء في زمن البرد الشديد فوجده دافئاً وخرج وملابسه لم تبتل . فقال لن هذا نعيم وتركه وخرج إلى الخلاء . وكان يتعبد فى الليل ببعد عن الناس ويرجع في النهار إلى تجارته .

وذكر أن شيخه الشيخ شناوى المذكور كان يتعهد مريديه فى الحضرات ومن يتأخر منهم يستحضره ويسأله عن سبب التأخير فإذا وجد التأخير بغير عذر عاقبه وكان عقابه له أن يمر مسبحته على ظهره فكان المريد يعود لمنزله مريضاً إلا شيخنا رضى الله تعالي عنه فكان لا يؤثر فيه شئ من ذلك

خلوته

وحبب إليه الخلوة والبعد عن الناس مطلقاً ليلاً ونهاراً وليس في مقدور امرئ أن يشرح حال من جذبهم الله إليه فإنها من الأمور الوجدانية التي يقصر القلم عن شرحها وغاية الأمر أنها الانقطاع إلي الله تعالى والأنس به مع العجز . ويظهر ذلك جلياً فيمن هجر ماله وولده كشيخنا رضى الله عنه فإنه ترك تجارته العظيمة وأولاده صبية صغاراً لا عمل لهم حتي قال بعض جيرانه لصاحب له

إنّى لفى ألمٍ شديدٍ لأولاد الشيخ فأنه تركهم ولا عائل لهم لحضر الشيخ وكلمه بحدّة من غير أن يكون قد بلغه شيء . وقال له أسألك أولادى شيئاً وهل تظن أن الله الذى يرزق من فى الأرض جميعاً ينسى أولادى وأفحمه وأسكته . وكان ذلك دليلاً على حسن يقين الشيخ بالله سبحانه وتعالى

ولما ترك تجارته لولديه الأستاذ الشيخ إبراهيم والشيخ محمد كانا لايزالان فى حالة يحتاجان إلى الرعاية فيها فلم يمكنهما القيام بشؤون التجارة حتى تبددت

وكانت إقامته رضى الله عنه بالمقبرة التى بها ضريح سيدى المبرز الولى الشهير بقرافة كفر النحال فأقام بها يعبد الله تعالى لايجتمع بأحدٍ عاكفاً لله تعالى معتزلاً جميع الناس مدّة سبع سنوات وهو مجذوب فى حب الله تعالى ورسوله وكان إذا رأى السيدات يتبعن جنازةً ضربهُنّ بالعصا حتى يعدن من حيث أتين . وكان له فى حال جذبه بالقرافة أحوال غريبة وخوارق كثيرة أخبرنا بها رضى

الله تعالى عنه

منها أنه رضى الله تعالى عنه قضى مدة أيام تقرب من أربعة أشهر لايأكل ولا يشرب ولا ينام وهو هائم فى حب الله تعالى بل حقق عدد الأيام بأنها مائة وسبعة عشر يوماً

ومنها أنه كان يرى أنوار أهل القبور ويعرف منهم المرحوم والمعذب وأخبرنا رضى الله تعالى عنه أن كل شخص لايتعداه نوره فلا يمتد إلى غيره وكذلك المظلم وكان يسمع أنين المعذبين منهم ولكن لايفهم كلامهم

ومنها أنه كان يسمع الطيور ويعرف لغتها ولغة كل أعجمى ولغة النبات والأشجار ويأنس بها وما تكلم إنسان أمامه بأية لغة إلا عرفها وعرف مايقول

ومنها أن ملابسه دامت عليه مدّة طويلة لايغيرها فأصبحت كالجلد من شدّة ماعليها وهو لايخلعها ولا يغسلها فأراد الله سبحانه وتعالى أن ينظفها له قهراً عنه فأوجد فى نفسه باعثاً للاغتسال فنظر أمامه وإذا بطريق ممتد فسلكه

واذا هو على بحر وعلى حافته مُدرَّج ينزل إلى البحر فنزل على هذا المدرج وخلع ثيابه واغتسل وخرج ثم اشتاقت نفسه إلى غسل ملابسه فغسلها وأزال مابها حتى صارت فى غاية النظافة وجففها ولبسها وصلى وعاد من حيث ذهب ثم أراد أن يرجع مرة ثانية فلم يجد هذا البحر فعلم أن الله أكرمه (كما سمعت ذلك من لسانه) رضى الله تعالى عنه

وأخبرنا رضى الله تعالى عنه أنه سمع شجرة تسبح وتقول سبحان من تسبح له الأغصان والأوراق . فقال في نفسه إن كان هذا التسبيح من جهة واحدة فيكون هذا من الشيطان يريد الفتنة ولئن كان من جميع أجزاء الشجرة كان هذا كلامها فأصغى لها فأذا هو من جميع أجزاء الشجرة

ظهوره ودعوته

فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن ينفع الناس به

أُلهِمَ بالخروج إلى الناس فخرج إلى بيته ولا يزال حال الجذب يغلب عليه فلم يجد في بيته شيئاً لأن ماله قد أذهبه الله سبحانه وتعالى ليرجع إلى بيته مجرداً له وتظهر ولاية الله تعالى له . ووجد جزءاً من المسكن قد تهدم فأقام به أياماً قليلة وعاد يباشر تجارته فابتدأ فيها بثلاثة قروش كما أخبرنى بذلك فبارك الله فيها وزادت كثيراً وهو لا ينظر قط إلى مافي أيدى الناس ولا إلى الدنيا بأى حال بل كان كان يجدها تخدمه . وفى الحديث القدسى (يَادُنيا مَنْ خدَمَنِى فَاُخْدِميه وَمَنْ خدَمَك فَاَسْتَخْدِميه)

وبعد أن خرج من خلوته هذه ظهرت له كرامات واضحة سيما الكشف وشفاء المرضى حتى أن النصارى والمتفرنجين من أهل العصر والمتعلمين تعلماً عصرياً من رجال الحكومة وغيرهم كانوا يذهبون إليه للتبرك وطلباً لشفاء مرضاهم واستطلاع مابهمهم من أمور الدنيا . ولقد عقد قسس الزقازيق جمعية لتحذير النصاري من الذهاب اليه خوفاً عليهم من أن يخرجوا من دينهم كما حصل لبعضهم

وكان شيخه الشيخ شناوى يوسف يتردد عليه ويزوره في بيته وكان أمام بيته قطعة أرض يزرع فيها بعض الأزهار وكانت معروفة بالجنينة وكان شيخنا يجلس فيها وتزوره الناس فيها . وقد كان شيخه يلح عليه بإعطاء العهود للناس وطلب له إجازة الطريق من سجادة البيومية وكان سيدي الأستاذ لايهتم بشأنها حتى أحضرها له بنفسه فقبلها وسلمها لولده سيدى الأستاذ الشيخ إبراهيم أبو خليل وأمره بحفظها وصارت محفوظة إلى الآن وهي مؤرخة ومسجلة في سنة ١٣١٦ هجرية

وقد اهتدى من عرفه ببركة التردد عليه ولو لم يتلق العهد وقد كان يمتنع عن إعطاء العهود فى مبدأ الأمر إلا بعد إلحاح وتردد كثير وربما ترك البعض مدة تزيد عن السنة أو السنتين . ثم شرح الله صدره لإعطاء العهود بلا امتناع فأمه الجم الغفير من كل جانب وانجذبت له القلوب وظهرت على يديه الكرامات العديدة وخوارق العادات واشتهر حاله فسلك سبيل الخير وأيد الحق وبرقت

له العيون وانفتحت له القلوب وكثر تابعوه وظهر عليهم نور الايمان وصار يلقن الذكر لكل من يطلب ويأخذ عليه العهد بالطاعة ولزوم جماعة المؤمنين وخدمة الفقراء والمساكين على قدر الطاقة وتجنب المعاصى

وقال رضي الله تعالى عنه رأيت أننا في موكب عظيم جمع أهل الطرق الصوفية جميعها والكل سائر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وكل طائفة من أهل الطرق معها شيخها ومعهم علم الطريق في شرذمة قليلة وأنا في آخرهم ومعي جمع كبير وعلم كبير جداً قال فكنت أمر بجمعى على كل طائفة نذكر الله تعالى ونجد الطائفة المتقدمة تذكر الدنيا وأعمالها فنتركها ونسير . وهكذا حتى مررنا على الطوائف كلها وانهينا إلى الأمام وكان جمعنا فى النهاية هو الجمع الشامل وكل الطوائف تتبعه حتى كنت أنا وجمعى أول الداخلين على النبيّ صلى الله عليه وسلم (١)

(١) تدل هذه الرؤية أن طريقه يكون هو الطريق القويم طريق الذكر وهو السابق إلى الخيرات بأذن الله فيجمع الطرق كلها وتتبعه فى النهاية . ولذا قال الأرض لنا

هـذا وكان لا يرى لنفسـه عملاً بل كان يرجع أمر العهد إلى سيدى على البيومى فكان يقول لهم اليدُ يدُ سيدى على البيومى كما سيأتي

وهذه صيغة المعاهدة التى كان يعاهد عليها الناس . كان يجلس أمامه المريدون ويضع يده في يدهم ويقول لهم الكل منا يقول لا إله الا الله فيقولها الجميع ويكررها ثلاث مرات ثم يقول أستغفر الله العظيم ويكررها مع الجميع ثلاث مرات ثم يقول وهم يتابعونه تبت إلي الله ورجعت الى الله وندمت على مافعلت . وعزمت على أن لا أعود إليّ المعاصى أبداً . وبرئت من كل دين يخالف دين الإسلام . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أشهد بالله (١) أني تائب الى الله تعالى من جميع الخطايا راغباً فى امتثال أوامر رسوله مجتنباً محارمه . مجتهداً فى طاعتـه منيباً اليه مواظباً على خدمة الفقراء والمساكين على قدر الطاقة وأن سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدى على البيومي شيخنا فى

(١) معنى أشهد بالله . أى أقسم

الدنيا والآخرة العهد عهد الله (١) واليدُ يدُ الله ويد شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى سـيدى على البيومى شيخنا فى الدنيا والآخرة والله على مانقول وكيل . وكان الجميع يقولون معه ذلك

وكان المأذون من قبله بإعطاء العهد يقول اليـدُ يدُ سـيدي وأستاذى الحاج محمد أبو خليل شيخنا في الدنيا والآخرة

(١) ومعنى العهد عهد الله — هو أن العهد الذى يأخذه الشيخ على المريد هو عهد الله الذى أخذه على الخلق بعبادته واتباع شريعته

ومعنى اليـد يد الله — أى أن يد الشيخ مدت للمبايعة بأمر الله فأضيفت لله تشريفاً وتعظيما لشأن المبايعـة وتنبيهاً للمريد أنه بمبايعته هذه كانه أخذ على نفسه عهدا أمام الله بالقيام بمقتضاه فيراقب ربه دائما ويخشاه

وذكر اليد فى قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) أى قدرته عليهم تشعر بذلك وتنبه المريد إلى معاملة الحق وخشيته لانه صاحب القدرة والسيطرة عليهم اهـ

أحواله وأخلاقه

وكانت أخلاقه كلها أخلاقاً محمدية فطرية فيه لا يتكلفها لأنّه مع كبر سنه وبلوغه ما يقارب المائة سنة فأنه كان شديد القوّة لا تفتر عزيمته ولا تنثني همته ليس له همّ إلا الطريق وجمع شتات القلوبْ إلى الله تعالى والسهر والذكر

وكان يقيم غالب النهار معتكفاً إلي الله تعالي حتى يظن أنه لا يخرج يومه وكان يخرج حتى يظن أنه لا يعتكف على أنه كان يقيم الليل فلا ينام إلا أُوَيْقات قليلة وكنا نراه يقظاً في مكان نومه

وكانت تقام بين يديه مجالس الذكر من أول الليل بعد العشاء إلى انتصاف الليل ثم يقوم إلى خلوته فيذكر الله تعالى ويتهجد حتي يصلي الفجر وبعض الأحيان كان ينتظر حتى تطلع الشمس وبعضها ينام عقب ذلك وعلى كل حال

فأنه كان ينشط فى الصباح دائماً ويجلس هائماً بذكر الله تعالى . وكان يخبرنا أنه لا ينام إلا مقدار ثلث ساعة على الاكثر فى اليوم والليلة

وكان شديد الحياء من الله تعالى فاذا جلس يجلس مستوياً متأدباً وكان أشدّ الناس تواضعاً وأسكنهم من غير كِبر وأحسنهم بِشراً لا يهوله شئ من أمر الدنيا . وكان غاية فى الزهد والورع والكرم وكان أعدل الناس وأعفهم يكره أن يمس يد امرأة لا يملك عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه حتى كانت تأتى اليه النساء ليأخُذْنَ عليه العهد فلا يضع يده فى يدهنّ بل كان يأتى بالمسبحة فيمسكها من جهة والمرأة من جهة أخرى وهى مقنّعة وإن كلمهنّ لا يكلمهنّ الا في الدين وما يصلح للآخرة

وكان يلبس المرقوع وكان يلبس ما وجد فمرّة يلبس قفطاناً وجبة . ومرة قفطاناً وجلباباً من صوف . ومرة يلبس جلباباً من النسيج الهندى الذى يسمونه بالسكروته . ومرة يلبس عقالاً وعباءة بيضاء ومرة يتعمم على

طربوش أبيض أو على طاقية صوف أبيض . ومرة على طربوش أحمر . ولكن كان الغالب عليه وخصوصاً فى السنين الأخيرة من عمره أن يتعمم بالعمامة الحمراء ويلبس جلباباً من صوف غنم أحمر بحسب خلقته تحته قميص من كتان أو من نسيج مكرش فوقه صديري وعباءة صوف غنم أحمر بحسب خلقته فما وجد من المباح لبس وربما حسن له الناس بالملبس من المباح فيلبسه — وقال مرة لما استمر في لبس العمامة الحمراء كان سيدي على البيومى يلبس كذا وكذا وكان يلبس العمامة الحمراء وها قد ألبسونى كما كان يلبس

وكان رضى الله تبارك وتعالى عنه يخدم أهله . وكان يشترى لهم مايلزمهم وربما نزل بنفسه الى السوق واشترى مايلزمهم ويحملها بنفسه

وكان يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة وكان يحب التريض فى الهواء النقى والتمتع برؤيه المياه والمناظر الجميلة فى أوقات مخصوصة وكان لايحتقر مسكيناً لفقره ورثاثته ولا

يهاب عظيماً لسطوته يدعو هذا وهذا إلى الله عزّ وجلّ دعوة واحدة فكان لايقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عزّ وجلّ

آدابه مع أبنائه وأصحابه

كان رضى الله عنه يكرم ذوى رحمه ويصلهم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وكان لايجفو أحداً ولو فعل معه مايوجب الجفاء وكان يقبل معذرة المعتذر اليه ولو فعل مافعل . وكان إذا جلس بين أصحابه يجلس كأنه أحدهم وربما جاء الغريب فلا يدرى أيهم ولا يعرفه الاّ بهيئته ونور إيمانه أو دله أحد عليه . وكان اذا جاءه أحد في حاجة اقبل عليه وسمع منه وأرشده إلى الخير . وكان يقول دائماً فى جوابه على بركة الله أو بركة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان لايواجه أحداً بمكروه منهم مطلقاً ولا يتعرض في وعظه أو إرشاده الى أحد معين بل يتكلم

خطاباً عاماً . وكان يقبـل على أصحابه وأتباعه بالمباسطة حتى يظن كل منهـم أنه أعز علـيه من جميع أصحابه وكان يمزح معهم مزاحاً لطيفاً جداً ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الاّ حقّاً

وكان رضى الله عنه لايكلفهم شيئاً وكثيراً ما نسمعه ينهى عن كثرة الأنفاق في غير حاجته . وكان يجالس معهم ماشاء ويخلو عنهم ماشاء فاذا رأى الفضل في الخلوة خلا عنهـم وكان يقابلهم بالرفق ولا يقابلهم بالعلم وكان يتدرج معهم فى العلم بتعليم المبتدئ بطريق الحكاية والمتعلم بطريق المستفهم كأنه هو الطالب للتعليم بوجه جميل يتدرج به من درجة إلى درجة حتى يورثه التمييز والتفكير فيما هو لازم اليه ويرقيه بصدق واخلاص بدون أن يشعر المريد أو العالم أو المتعلم أنه يعلمه فيفتح عليـه باب الطلب فينفتح قلبه للشيخ . ويقبل بقلبه عليه فيرزقه الله الفتوح والمواهب ويزداد في قلبه حب الشيخ ويتمنى أنه لا ينفك عنه

وكان يقبل الهـدية ويكافئ عليها قلّت أو كثرت .

وكان يجيب دعوة من دعاه غنياً كان أو فقيراً يتلطف بحال كل واحـد منهم . وكان يحبّبُ إلى المتقاعد منهم العمل والسعي على المعاش فلا يرضى لأحد أن يكون عالة على سواه أو يعيش من سؤال النـاس فكان ينطبق عليهم ماورد فى الاثر (اعْمَلْ لِدُنياكَ كَأَنَّكَ تَعيشُ أبدًا وَاعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَموتُ غدًا)

وكان رضي الله عنه لايحب أن يسمع عنهم مكروهاً وإذا سئل أن يدعو على أحد امتنع ودعا له وقرأ له الفاتحة . وهذا خلق من أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد ورد فى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (لاَ تُبلِّغُوني عَنْ أَصحابي إلاّ خيرًا فإنّي أُحِبُّ أَنْ أَخرُجَ إليهم وَصَدْري سَليمٌ) وكان يعطف عليهم . ويقضي لهم حقوقهم . فلا يضيع لهم حقاً اعتماداً على رضاهم أو إخلاصهم في المودّة بل كان لايجعل لأحد حقاً عليه . وكان يتنزه عن مال أتباعه عامة ويؤدى ماعليه لهم ان وُجِدَ شيء من ذلك

وكان لا يظهر لهم ريبة ولا شكا فيهم أو في أحدهم عملاً بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (إذا ابتغى الأميرُ الرِّيبةَ (١) في الناس أفسدهم)(٢) رواه أبو داود رضي الله عنه

وكان رضي الله تعالى عنه يحفظ أسرار المريدين فيما يكاشفونه به. وكان لا يظهر لهم كرامة مخصوصة أو يبين لهم أنه يعرف شيئاً من أحوالهم بل كان يُعرِّفهم أن النِّعَم المطلوبة واستزادتها إنما هي العمل والقرب لله تعالى. فإذا كاشف إنساناً بشيء مما عنده ستره عليه في إلقائه فيعلمه المريد. والشيخ يظهر الغفلة عنه فلا يفقه المريد أن الشيخ يعلم شيئاً فيما يكاشفه به على سبيل الاستتار إلا فيما ندر. وفي أحوال الهيام الشديدة فإنه ربما كاشف البعض بأحواله. وكان هذا لا يكون إلا لضرورة تصلح لدين

---

(١) — الريبة — التهمة

(٢) والمراد أن الامام إذا اتهم رعيته وجاهرهم بسوء الظن أداهم ذلك إلى ماظن فيهم ففسدوا

المريد أو إرشاده فيما ينفعه في دنياه بما يرضى الله ورسوله

وكان رضي الله عنه يقابل جميع الناس بالبشر والإيناس وربما جاءوا إليه وقاموا من غير كلام لشدة هيبة مجلسه وسكونه. حتى قال بعض زائريه لنا مرةً إن هذا الشيخ الساكن الساكت ينبعث من قلبه شعاع على القلوب فيسطع عليها فيؤنسها لكنه يخيّم عليها فلا يجد مجالاً للكلام في حضرته. ومع ذلك فكان يتكلم مع كل إنسان بحسب حاله إن تكلم معه في أمر الآخرة تكلم معه. وان تكلم في أمر الدنيا تكلم معه. وكان لا يتكلم معه أحدٌ في عمل من الأعمال أو فن من الفنون إلا يتكلم معه فيه كأنه عالم بجميع نصوصه وفصوصه. وربما سأل محدِّثه في دقائقه فيقف عن الجواب حائراً أو يندهش. وهذا كله بكلام لين هيّن يأنس به محدثه. وكان لا يهتم بمقابلة الناس لقصد المؤانسة إلا إن كان لذكر الله والتوبة وإعطاء العهود. وما عدا ذلك فكان يقول لا شأن لنا بهم

سياحته

ولما اشتهر أمره وانتشر طريقه في البلاد اشتدّ الالحاح عليه للقيام إلى بعض البلاد بدعوة من أهلها فكان في أوائل الأمر يقوم من بلده إلى البلد المدعو فيها فيقيم فيها ليلة أو بضع ليالي يقيم ذكر الله تعالى ويهتدي على يديه الجم الغفير من الناس فيأخذ عليهم العهد بطاعة الله تعالى وأوامر رسوله ثم يعود إلى أن كثرت الناس في طلبه وكثر عليه الإلحاح والرجاء بالانتقال وتزاحمت الناس على دعوته فكان يقوم من بلد إلى بلد برجاء شديد

وكان لا يحل ببلد ويتنفس فيها إلا وملأ قلوب أهلها نوراً وإيماناً فاذا حللت في مكان حلّ فيه ترى نور الأيمان ظاهراً على من فيه وجوههم ضاحكة مستبشرة كأنّما هم في موسم عباده . منهم الذاكر . ومنهم الشاكر . ومنهم القائم على خدمة الفقراء والمساكين يقابلون الوفود الذين يحضرون لزيارة سيدنا الأستاذ بالفرح العظيم والقلب السليم

لا يهتمون بشيء من أمور الدنيا مطلقاً بل أكبر أمر لديهم هو العمل للآخرة

وكانت تقام الحفلات وتعمل الولائم وتقام حضرات الذكر بين يديه مع الأنشاد

وكانت تظهر فيها الأعاجيب من إكرام الله تعالى له وحفظه واشتهار الدعوة . منها أن المحتفل به كان لا يرى أي عسر في سبيل إقامة الحفلات والانفاق عليها مع أن في المحتفلين من يكون حاله حال كفاف . ولكن الله سبحانه وتعالى يجعل مع العسر يسراً فيفيض عليه من فضله ويسهل له الأمر وينفق من حيث لا يشعر لشدّة فرحه ولإخلاصه ويظن أنه أنفق كثيراً ولكن في النهاية يجد أن الله بارك في القليل حتى صار كثيراً

ومنها أن البعض كان يدعوه وليس لديه استعداد فحينما يحل سيدي لديه يكون قد أعدّ طعاما قليلا على قدر من حضر معه ولكن بعد ذلك يجد الوفود حلت من كل جهة لزيارة

سيدى الأستاذ حتى يضيق المكان ويزدحم البلد بالزائرين فيقدم لهم الطعام ويبارك الله فيه حتى يكفي كل الحاضرين وهو لايدرى

ولقد حدث لى ذلك مراراً وتكراراً . وفى مرة كنت استحضرت طباخاً من المنصوره لا أعرفه من قبل وعملنا معه حساباً على ما يكفى اطعام مائة انسان واستحضرت له الأدوات اللازمة لذلك . فلما جنّ الليل وجاء القوم صرنا نطلب منه عشاء عشرة فعشرة فعددنا بعد ذلك فى الساعة الحادية عشرة فوجدنا الموائد التى قدمت (٥٣) فى (١٠) وخرج الطباخ وصبيانه يقولون ما وجدنا فى عمرنا أخفّ ولاأحسن من ذلك مطلقاً . فالطباخ يقول كنت مساقاً إلى انجاز الطلب ولا أنظر إلى ماعندى فأجدنى مضطرا إلى الانقياد بخلاف الجهات الأخرى فيعترينى الملل فيها أما هنا فأؤدى عملى إلى النهاية . والصبى يقول كان لى (كيف) لايمكنى الصبر عنه ساعة فما تناولته طول وجودى فى العمل يوماً وليلة وأنا مسرور أكثر من تناوله وتاب عنه وحصلت له بركة سيدى

الأستاذ . هذا بخلاف ما كنت أراه فى البيت وقد حدثني كثير من الأخوان بمثل ذلك فى كل عام

ومنها أنه كانت تقام الحفلات ويجتمع فيها الجموع الكثيرة وربما جمعت أخلاط الناس ويحفظ الله هذا الاجتماع من الهرج الذى يحدث عادةً في المجتمعات الأخرى . ولا تنافر ولا كلام غير انتظار خروج سيدي الأستاذ بينهم ليتبركوا به ويأنسوا بوجوده وعند خروجه يتزاحمون كثيراً على تقبيل يده والتبرك به

وعند استقراره تجد الكل على غاية الأدب والكمال لايلتفتون لغير الذكر والانشاد الذى لا يكون إلا فى التوحيد والصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم أو النصائح أو تفسير القرآن وهم صامتون منصتون من أول الليل إلى آخره فلا ينفض المجلس إلا وقلوب المجتمعين كلهم متعلقة به تعلقاً كبيراً يتزاحمون عليه بقوّة هائلة لأخذ العهود والتبرك به حتى لايمكن منع الزحام إلا بغاية الجهد مع أنه كان اذا جلس في المجلس لايكلم أحداً إلا عند الحاجة .

وقلبه مع الله موجه للذكر . وكان يقابل الناس بالبشر
وبالدعاء لهم

ولقد كنا مرّة في بلدة (إدكو) في آخر أيام حياته
وكان لم يذهب اليها غير هذه المرّة ومكث بها ليلتين .
وكان يجتمع الآلاف الكثيرة من الناس وكان يحضر منهم
الكثير لأخذ العهود فمن شدّة الازدحام على أخذ العهود
كنا نأتي له بكل عشرة أشخاص وكل خمسة عشر مرّة
فيأخذ عليهم العهد طائفة بعد أخرى في مرة واحدة وكانت
ليلة مشهودة مكث الاحتفال حتى صلاة الفجر في ذكر
وعبادة وإعطاء عهود والناس لا تريد أن تنفض من حوله

ومن الأسرار التي شاهدناها أنه كان لا يوجد لص
في المجتمع فلا يفقد شئ من المجتمعين واذا وجد كان الله
سبحانه وتعالى يظهر أمره للناس في الحال ويقع في قلبه
الرعب ويتزلف اليهم بالتوبة حتى يخرج وربما صدقت توبته
وأخذ العهد واستقام

ومن سرّه أن غالب أتباعه السالكين كانوا لا يصبرون

على بعده فكانوا يذهبون إليه فى البلاد التى يكون بها
وبعضهم يذهب من حيث لا يدرى كيف يصل إليه لأنه لم
يكن قد طرق هاته البلاد من قبل فيهديه الله سبحانه
وتعالى إلى الوصول بلا مشقة . وربما يكون الغالب فى
الذهاب ليلاً فيحفظه الله حتى يذهب من غير عسر . وربما
سار البعض على الأقدام مدّة طويلة وهو لا يشعر من شدّة
الحب ولا يحس بأدنى تعب

وكان البعض يذهب إليه هرباً من الأكدار فيمكث
اليوم واليومين أو الأيام الكثيرة وهو فى أنس عظيم
ويعود وقد ذهبت أكداره وأسبابها

وكان البعض يذهب ولديه من المصالح شئ كثير
ولكن شوقه وحبه أدّاه إلى زيارة الأستاذ فيذهب ويقيم
الليالى والايام العديدة ويعود فيجد الأمر على أيسره
والمصالح لا تتعطل

وفى السنين الأخيرة قامت الحرب الكبيرة وأعلنت الاحكام
العرفية فى البلاد المصرية وحصل منع الاجتماعات وتشديد في

عمل المجتمعات ومنع الإضاءة فى الشوارع العمومية . ولكن اجتماعات سيدي الأستاذ وأتباعه كانت تقام في كل مكان لا تنقطع وخصوصاً في البنادر التى فيها المراقبة أشد . وكانت تضاء الأنوار ويحضر فى مجلسه آلاف من الناس ومن جميع الطبقات المتعلمة وغير المتعلمة ومن رجال الحكومة وغيرها . وكان الله سبحانه وتعالى يحفظ هذا الجمع المحمدى ولا يحصل أدنى منع أو تنبيه . وكان يمر بعض رجال الإنجليز ويجلسون بالمجلس ويقومون فلا يتكلمون

ومن الأسرار أن الأوامر العسكرية صدرت بالإكراه على التطوع للأعمال العسكرية من المصريين . ومن فضل الله على أتباع سيدي الأستاذ أن الغالب لم يقهر عليها ولم يذهب منهم إلا النادر

ومن الأسرار أيضاً أن طريقته قد انتشرت انتشاراً كبيراً ودخلها جم غفير من جميع الطبقات المتعلمين وغير المتعلمين ومن مستخدمى الحكومة في جميع المصالح من قضاة وكتبة وعمال الإدارات والمحاكم وغيرها ومن علماء

الأزهر والمدرسين بالمدارس على اختلاف درجاتها . ومن المهندسين والأطباء والمحامين وأرباب الصناعات والعمد والفلاحين وغيرهم . ومع هذا تجدهم إخواناً فى الله تعالى سواء . وفى اجتماعهم يقدمون بعضهم على بعض لا ينظرون فى الطاعة إلى صغير أو كبير أو صاحب جاه أو خلافه بل تجد صاحب الجاه يعتقد فى الصغير ويسأله الدعاء ويعتقد قبوله عند الله تعالى

ومن الأسرار أيضاً أن الزائرين يكثرون جداً فى بلادٍ متعددة والشخص الذى عنده سيدى الأستاذ غير مستعد لهؤلاء الناس . ولكن لا تمر الليلة حتى يكون الله قد أكرم الكل وباتوا على أتم حال وسرور عظيم سواء كانوا مجتمعين في مكان واحدٍ أو في أمكنة متعددة ويصبحون على أتم نعمه

وكان يأتى فى الحفلات بعض المعترضين ويشتدون فى الكلام وفى النقد ويسعون فى الأذي شأن مرضى القلوب مع داعى الحق فكانوا يخفقون في مسعاهم وربما

انقلب الحال عليهم إن أَصرّوا أولا يقومون إلا وهم تائبون سالكون الطريق بل ربما أن صاحب الاعتراض يشهد على نفسه وينطق بالحجة عليها

وكان رضى الله عنه يعامل من يرافقه فى سياحته بغاية الرأفة والعطف والشفقة الكبيرة . وكان يؤانسهم ويباسطهم ويفرّحهم ويسامرهم بالحكايات التى تضحك الثكلى ولكن لاتخرج عن موعظة فلا يقول حكاية إلا عن واقع حصل ولا تكون إلا لمناسبة مخصوصة

وكانت تلقى بين يديه القصائد والأشعار المنظومة مدحاً فيه وكان لايحفل بها ويمنع إلقاءها فى الغالب إلا في بعض الأَحيان لإجابة لإلحاح بعض المستمعين وهو شئ كثير جداً لايدخل تحت حصر ولكن أذكر طرفاً صغيراً منها وهو ماوقع بيدى حال كتابة هذا

فمنها ماقاله حضرة رياض افندى ابراهيم طه الموظف بعموم مصلحة البوسته المصرية وممن أخذ العهد عليهم

قالها فى ٢٠ رجب سنة ١٣٣٣ هجرية
بثغر الاسكندريه وهى

أفى حبها قد يعتريك ذهول	إذ النفس تصبو نحوها وتميل
ومالى أرى هذا الشحوب وذا الضنى	يحل لدى أحبابها ويطول
وهل الذى جاز الطريقة نحوها	شخوص لدى عليائها ووصول
وماقيمة العشاق فى الحب عندها	وهل ثمَّ كل الهائمين خليل
فأن غرامى فى هواها أماتنى	وبِتُّ ومالي فى الحياة سبيل.
أجبنى رعاك الله أن صبابتى	تذوب لديها مهجتى وتسيل
فياسائلى عن ذى المسائل كلها	تصبر فإنَّ الصبر منك قليل
تروم وصالاً ما أعزَّ نواله	ولكنما درب الطريق طويل
طريق التي تهوى بعيد وقطعه	يشق على من رامه ويطول
تزوّد له فى السير واحمل سلاحه	وأقدِم وإلا يعتريك خمول
تزود من التقوى ونفسك فاحمها	من الرجس عل الرجس عنك يزول
وحاذر من الشيطان جهدك دائماً	فبغية هذا فى الطريق يحول
وواظب على الطاعات حين حلولها	فحكمتها للسيئات تزيل

ونفسك روّضها على كل صالح   فمن دانها للصالحات قليل .
واصلح بذكر الله قلبك دائماً   فكم صح بالذكر الحكيم عليل
هنالك تلقى في الطريق سهولة   وتدنو قريباً والقريب يطول
توسل لها بالهاشمي محمد   نبيّ الهدى بالبينات رسول
نبيٌّ له في الكون أكبرُ مِنّة   به صح إيمان لنا ودليل ..
أتانا بنور الله يشرع بيننا   فنوّر قلباً في الظلام يجول
أغار على الأصنام في عرصاتها   وما هي إلاّ أكلبٌ وعجُول
أضلت عظيم القوم قبل حقيرهم   ودان لديها يُفّعٌ وكهول
فهدّمها ثم استقام بهديهم   وآبت بهم نحو البشير عقول
وحلت بدين الشرك بعد ظهوره   غوائل شتّى لا تزال تغول
رأوا دينه الأسنى يضيء فآمنوا   وباتوا وهم للعالمين أصول
أضاءوا الملا بالعدل والعلم بينما   ترى الجهل بين المشركين يصول
وقاموا على الحسنى وآبوا لربهم   وهم عنده بين الجنان نزول
عصابة دين الله صحب محمد   لهم من رضا الرحمن فضل جزيل
هداهم فكانوا للحقيقة موئلاً   ونارَ بهم للعالمين سبيل .
فيا صفوة الرحمن يا خير مرشد   ويا من له كل القلوب تميل

ويا من له عند الكريم شفاعة   تخف بها للمذنبين حمول
قصدتك أرجو أن أفرج كربتي   وأنت بتفريج الكروب كفيل
تعلقت بالحسنى وأخفقت دونها   وبت وقلبي بالغرام ذليل
تعشقتها لم أدر أنّ منيّتي   سيلحقها قبل الوصال افول
وقد بت حيراناً ونفسي كئيبة   وطرفي باكٍ والفؤاد عليل
فأرشدني للباب أرجوك نفحة   إمامي من في الصالحات يجول
إمام له في النصح خير طريقة   وأفضل إرشادٍ له مأمول
(محمد) يهدينا سنا نفحاته   (خليل) لكل السالكين زميل
هو البحر لكن لا قرار لغوره   يعم علينا من هداه مسيل
يعلمنا المفروض ثم يدلنا   على كل ما أوحى به التنزيل
ويوردنا من سنّة البدر موردا   فننهل من أنهارها ونصول
له نفحات إن أحاطت بسالك   لحارت له عند السلوك عقول
كريم ترى القصّاد نحو رحابه   وفوداً فتحظى بالمنى وتقيل
وقور ترى بالوجه عند شهوده   دلائل شتى إن ذاك جليل
أمين لعهد القطب غوث زمانه   همام لخير الصالحين بديل
فيا سيداً نلت الولاية والتقى   وقدركم عند الإله جليل

أضاءت لنا ثغر البلاد وأصبحت ... منائره تزهو بكم وتطول
وجئنا جميعاً نرتجى نفحاتكم ... ونشهد وجهاً بالصلاح جميل
فأن لكم عند الإله مكانة ... وأجركم عند الكريم جزيل
ولسنا نرى أنّا نرد وبيننا ... خليفتكم حاد لنا ودليل
منار الهدى (عبد السلام) فأصله ... إلى المجد يعزى للكرام سليل
له والد كان الإمام لديننا ... وقفاه شهم في القلوب نزيل
فياسادة قدتم الى الحق جمعنا ... وهامت بكم تبغي السلوك قبيل
نروم بكم عند النبيّ مكانة ... ليشملنا عند المقام قبول
فإن مقام المصطفى خير ملجأ ... وأفضل مايرجى اليه رحيل
ترى نحوه القصّاد هامت محبة ... وشد إلى نحو الرحاب جديل
فمن أمه نال السعادة والعلا ... ويحويه ظلّ بالمقام ظليل
به سند الإسلام من بوجوده ... أنارت به الدنيا وعم شمول
توسل به فى كل وقت ولحظة ... لتحظى بوصل والوصال قليل
فأن رسول الله خير وسيلة ... وأكرم من يرجى لديه قبول
أجرني رسول الله إنك شافعي ... بيوم يحير أمره ويهول

وقال الأستاذ (الشيخ عبد الخالق المسيري)
المتخرج من مدرسة دار العلوم والمدرس الآن بمدرسة كفر الشيخ

أهلاً بطلعة وجهك الغراء ... يابدر تم في جبين سماء
ياشمس مجدٍ بين أفلاك العلا ... وعميد قوم في أجل قباء
يافرقدا كل الكواكب دونه ... ومنازل الأفلاك والجوزاء
يامن إذا قصد الاديب مديحه ... عيّ الأديب ومصقع الخطباء
مما يصاغ المدح يارب العلا ... أبجوهر أم درّة عصماء
أن شبهوك بعنصر الدنيا فذا ... من عادة التشبيه في الشعراء
لو أنصفت مدحتك أملاك السما ... يابهجة الإصباح والأمساء
يامركز الفلك المدار وسعده ... وفريدة الخضراء والغبراء
ظهرت طريق الهدى منك بحجة ... لمعاء أو بدلالة بيضاء
من مشرق الدنيا لأقصى غربها ... يامن حويت طبائع الكرماء
أحكمت معيار الفضائل بالتقى ... نطقت بذلك أصدق الأنباء
ياقائداً كل الأنام جنوده ... يمشون طوع الأمر والآراء
يمشون حيث رسمت معتدلي الخطا ... متتبعين الخطو باستحياء

لايلتوون ليمنة أو يسرة ... إلا لدفع مكايد الأعداء
فكأنهم جيش الغزاة لنصرة ال ... دين الحنيف براية حمراء
للغزو صاروا تابعين محمداً ... سبط الخليل أخى العلا الوضاء
فإذا عزمت على الفتوح رأيتهم ... هبوا لخوض معامع الهيجاء
ماسيفهم فى الفتح غير (مسابح) ... مثل السيوف تضئ فى الظلماء
وسلاحهم بالذكر ماض مرهف ... شهروا السلاح بفطنة وذكاء
فأمدّ هذا الجيش من نور التقى ... وامنحهم كرماً أتم رضاء
إنا لنعلم ما حبوت من الهدى ... علم البنين برأفة الآباء
لولا الدموع تنم عن سر الهوى ... وتذيع سرا جل عن إفشاء
لرأيتنا نبكى نواك بأدمع ... حرا تبوح بمضمر الأحشاء
لكن ضننا بالهوى وبسره ... حتى نؤوب من الهوى بجزاء
قد غبت عنا حقبة كنا بها ... كابن السبيل بليلة ليلاء
وعدت بنا بعض الخطوب وإنما ... من خوف بأسك أصبحت كهباء
فانزل عرينك مكرماً ومعظما ... واحم الحمى بعزيمة ومضاء
لازلت فى عز على هام العلا ... حتى تعيش مجملاً برواء
فلأنت أجدر بالبقا طول المدى ... والفخر والتيسار والنعماء

هذا ومدحك فوق ما أنشدته ... بعد السماء عن الثرى والماء

وقال السيد الشريف (الشيخ عبد الغفار على الشرقاوى البلقاسى)
أحد أتباع الاستاذ حين شرف بلدتهم

تبارك الله ما أبهاك من قمر ... تحن روحى إلى رؤياك مع بصرى
ما الشمس وقت ضحاها أن ظهرت لنا ... فى حلة الحسن تحكى بهجة الصور
تهدى نفائس أنفاس وتخطف أر ... واح العباد بأسنى مشهد عطر
أهديك بالنفس بل بالروح ياأملى ... يالب قلبى ويا سرى ومدّخرى
سبحانك الله ما هذا من البشر ... لكنه ملك قد جاء للبشر
محجب عن عيون الواصلين فهل ... يدنو إليه جهول فاقد البصر
يانفس إن تصلحى وقتاً لسدته ... لكن عسى توجد الاشيا على قدر
هذا الخليل الذى نادى الزمان به ... فجاء كل خطير أى مقتدر
جات محاسنه عن كل ما وصفوا ... فكل ما وصفوا من قطرة المطر
فكيف وهو وحيد الدهر مفرده ... والحال يغنيك مرآه عن الخبر
لام العواذل لا والله ما نظروا ... تالله ما شهدوا شيئاً من الأثر
فهو الذى قد حباه المصطفى رتباً ... فضلاً من الله لا بالجدّ والسهر

علماً وحلماً وتوفيقاً ومكرمةً … وحسن حالٍ مع التسليم للقدر
ورحمة ورجاء للأنام كذا … مزيد شكر وإكراماً لذي عسر
هذا هو القطب هذا الشمس طالعة … نوراً وعلماً واعمالا لمفتخر
فانظر خليلى لمسكين غدا قلقا … حليف وجد سقيما دائم الفكر
وامنحه من مدد الأنوار ما علمت … كل الخليقه من جنّ ومن بشر
به توسلت للرحمن في كرب … قد أوقعت مهجتي في لجة الخطر
وبت فى شدة لم تدر غايتها … مقلب القلب والأعضاء فى كدر
ولم أجد غير مرفوع المقام عزيـ … ـز الجاه مولى الندى فى البدو والحضر
مشهور آلائه كم أنقذت مهجاً … عن مبهم الخطب والاغيار وهو حرى
وحسن أخلاقه فى الكون قد جمعت … عليه مؤتلفاً للروح والبصر
فارحم ضعيفاً من الآمال ياسندى … بالمصطفى المجتبى المختار من مضر
صلى عليه إله العرش ماسجعت … ورقاء فوق غصون البان فى الشجر
والال والصحب ماشمس الضحي طلعت … وزينت قامة الأغصان بالزهر

وقال حضرة (رياض افندى طه) فى سنة ١٣٣٤
بثغر الاسكندرية أيضاً

أفي حب من أهوى على تلوم … رويدك لوم العاذلين عقيم
تلوم وما تدرى بأن صبابتى … أذابت فؤاداً بالحبيب يهيم
وكل نعيمى أن أموت بحبها … فأحيا حياة في النعيم تدوم
فوتى بها كل السعادة عندما … أزف لها عهد الوفا وأقيم
ومن لم يمت فى حب من هو عاشق … فقد عاش ميت القلب وهو سقيم
فأن كنت لم تدر المحبة والهوى … فجرب وما كل العلوم علوم
عهدت أناساً قد أطالوا ملامتى … فلما دنوا قالوا الجهول يلوم
رأوا حسنها أبهى من الشمس والضحي … يحيط بها عند السهود نجوم
فتاهوا بحسن لو تجلت صفاته … على جبل لاندك منه رسوم
وطاف عليهم كأسها وشرابها … وطارت بلب الشرب وهي تحوم
أفى حب ذات الله لوم على امرئ … تجلت عليه الذات وهو عديم
فكف ملاماً ياعذولى فأننى … على حبها طول الحياة مقيم

نشأت بها صبا فتنت بحبها — فأن مرّ ذكراها على أهيم
لهاخر موسى حين شاهد حسنها — ودكت أصول الطور وهو عظيم
وفى حبها وفّى الخليل بعهده — وقام إلى ذبح الذبيح يروم
ونجته من نار تلظى سعيرها — وردت لقلب الكافرين سهوم
ومن حسنها وفّت ليوسف حسنه — وردت إليه الأَهل وهو كريم
وأوحت إلى العذراء أن نجيبها — سيصبح هاد للورى ويدوم
وصانته من صلب وشُبّه غيره — وبات لدى العلياء ثَمَّ يقيم
ومنت على الاكوان حين ضلالها — لدى ما أحاطت بالحياة غيوم
ببعثة فخر الأنبياء محمد — نبيّ الهدى بالمؤمنين رحيم
نبي به الاكوان فازت وأشرقت — وأطرب للأرواح منه قدوم
أتانا ونار الشرك تلتهم الورى — وظلم دعاة المشركين عظيم
يعدون وأد البنت عقلا وحكمة — وهذا صنيع للطغاة عقيم
وقد نحتوا الأحجار آلهة لهم — وما تنفع الأحجار وهى رسوم
يجيئون بالقربان حول بنائها — وأجرٌ لقرباهم لظى وجحيم
وطاحوا بنور العلم وانخفضوا حجى — وكل بدا يرعى الحياة بهيم
وساء بنو الدنيا وضلت رعاتهم — وحاطت حياة العالمين هموم

فلما أراد الله إذهاب ضرهم — وأن بناء المصلحين يقوم
فأوحي إلى نور الحياة وعزها — شرائع فيها للعباد نعيم
وضاءت به الدنيا وأشرق نوره — ونور شفيع المذنبين قديم
فبلغ ما أوحي إليه مجاهداً — وللعدل هبت في الحياة نسيم
وأشرقت السمحاء وامتدّ نورها — وبدل قول المبطلين وجوم
وأكرم بالقرآن أكرم أمة — به الخير وافى للعباد عميم
وقامت على السمحاء خير صحابة — تضئ لهم سبل الحياة علوم
فسنوا لنا طرق الهداية والتقى — وجاز عليها ذو حجًى وفهيم
ولما أقاموها أتت خلفاؤهم — تذكر ما قال الألى وتقيم
فرقوا بذكر الله قلباً محجباً — أظلته من شبه الحياة غيوم
ومازال هذا النور يزهو ضياؤه — وينشره قطب الهداة كريم
هو القطب مولانا وقائد جمعنا — أبو النور مولانا (الخليل) يدوم
(محمد) المملوء علماً وحكمة — وفيء المحيا ذو البهاء بسيم
فداوى نفوساً أُسعدت بقدومه — وفارقت القلب العليل كلوم
أفاض علينا من هداه عوارفا — ونصحا به نفس المريد تقوم
وخلص أرواحا من الاسر عندما — أدامت لذكر الله وهي تهيم

خاضوا بحار الحب وانغمسوا بها وكل لما منح الحبيب كتوم
تجلى عليهم من سماء جلاله وهب عليهم للحبيب نسيم
فياسيدى جئنا إليك بجمعنا نؤمل مانال الأولى ونروم
نقدم أرواحاً لديك دواؤها فصلها بمن تهوى فأنت كريم
وحاشاك أن تأبى وبين جموعنا خليفتكم من للنفوس حكيم
سليل العلا عبد السلام المرتضى أمين بعهد العارفين عليم
فهبنا من النفحات ماتحيي به نفوس عراها فى الحياة وجوم
وزدنا من الهدى الذى وردت به شريعة من للكافرين خصيم
ليوردنا حوضاً لدى الحشر عندما إليه جميع اللاجئين تقوم
فأنى رسول الله خير مؤمل وخير شفيع للعصاة كريم

وقال حضرة الأستاذ (الشيخ سالم مطاوع)

من الكردى دقهلية الطالب بمعهد الاسكندرية بالقسم العالى
وأحد أتباع سيدى الأستاذ قالها فى ١٣٣٧

غزال اللوى بين الربوع الطواسم يجدد من ذكرى عهود الاعاجم(١)

---

(١) اللوى رمل يعود و يلتوى ـ (الطواسم) ـ الدوارس وهو ما انمحى من آثار الديار

يجدد ذكرى الظاعنين عشية وأطلاؤه تعلو متون الرواسم (١)
ويختال فى ماء النعيم كأنه يري الحسن وقفا في وميض المباسم
مليك جمال ما مثيل جماله غنى دلال جد بين التهائم (٢)
ألا فسقاه الله ماء مدامة وبارك فى ربع الغوانى بكاظم (٣)
لقد بعثت فى القلب من غير موعد عهاد الهوى تولى بشوق لهائم (٤)
وقرن أسباب التلاقى لعاشق رأي الخير في التقوى وحب الاكارم
فأعرض عن عهد الغوانى بأسرها ومال إلى عهد الخليل (بسالم)
(محمد) المعروف بالخير والندى ومن بحره في الجود دان التلاطم
ومن هو محمود الفضائل كلها من الجود والتقوى وكل العظائم
ولىٌّ هدى بالغيب كان مخبراً وكان بعلم الله أفضل عالم
هو السيد الهادى إلى خير مهتدٍ هو السيد الماحي لعهد الجرائم

---

(١) ـ الظاعنين ـ المرتحلين (والاطلاء) جمع الطلا وهو ولد الظبية (والمتون) الظهور (والرواسم) الابل
(٢) ـ التهائم جمع تهامة وهي الارض المنخفضة
(٣) ـ كاظم مكان كانت تنزله العرب
(٤) العهاد جمع عهدة وهي أول المطر . ومعنى كونها تولى بشوق أي يتجدد الهوى له

هوالجود وابن الجود والجود خدنه　　قديماًفلاتروى لشرعة (حاتم) (١)
تأمل هداك الله نور جبينه　　تراه نقى الضوء شيخ المكارم
يصير عليم بالامور وذكره　　غنى عن التبيان من كل ناظم
تجارته ذكر الإله وربحه　　هداية أقوام بخبرة حازم
بنى المجدوالتقوى وشيد صرحها　　وكان لدين الله خير ملازم
تداركنا والشرع يرثى لحاله　　فسرعان ماأهدى قوى الشكائم (٢)
يمينا لنعم الشيخ أضحى يمدنا　　بنور رصول الله غب المظالم (٣)
تعهدنا والليل مافيه كوكب　　فعاد بهالات إلى قلب حائم (٤)
صفا وصفت منه أسرة وجهه　　فجئنا له بالثغر ثغر الأعاظم
تسيل بنا الوديان مافي نصابنا　　كهام إلى (شيخ) كثير المغانم (٥)
به الثغر أضحى دائماً متهللا　　له غرر وضاءة في العوالم

﴿ ١ ﴾ الخدن ـ الصاحب والشرعة ـ معناها فى الأصل الماء المورود وتستعمل فى الطريقة ـ والخطه (وحاتم) رجل مشهور بالكرم ﴿ ٢ ﴾ الشكائم ـ جمع شكيمة بمعنى العزيمة ﴿ ٣ ﴾ وغب ـ بمعنى بعد ﴿ ٤ ﴾ الهالات ـ جمع هالة ـ وهي الدائرة حول القمر ـ والحائم الظمآن ﴿ ٥ ﴾ النصاب ـ الأصل ـ والمراد به هنا القوة الداعية للمسير ـ والكهام ـ الكليل الحد وهو كناية عن الضعف

تبوأ عرشا للهداية فازدهت　　بأنواره أرجاء تيك المعالم
وجاءت له الاقوام تسعى لنوره　　فأحياهم بالذكر خير الغنائم
وزودها بالدين حتى تعرفت　　طريقة أهل الحق من خير قادم
وصارت على التقوى وحب إلهها　　ورامت حمى (طه) قوى العزائم
اولئك قوم بارك الله فيهم　　فهم لكلوم النفس خير المراهم (١)
رجال صفت لما اصطفت شرع ربها　　ومالت عن الاغيار ترجو الدائم
(لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم)　　نما غرسها من عهد طينة (آدم)
ولا عيب فيهم غير أن رفيقهم　　سرى بالتقى حتى ارتقى للمكارم (٢)
فياحبذا تلك الفضائل فى الورى　　إذا مابدت طيبا بكل المراسم (٣)
وما أحسن التقوى إذا ماتحققت　　بأبطال ميدان الوغى والضراغم (٤)
وما أجمل الليل الذى ضم شملنا　　ولاذ بشيخ فى رياض المواسم

﴿ ١ ﴾ الكلوم ـ جمع كلم وهو الجرح . والمراهم ـ جمع مرهم وهو الدواء ﴿ ٢ ﴾ ولا عيب الخ ـ فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو من أنواع البديع ﴿ ٣ ﴾ المراسم ـ الطرق ـ ﴿ ٤ ﴾ الوغى ـ الحرب والضراغم ـ الأسود . وهنا تشبيه حيث أنهم يأسرون النفوس بحليتهم وتقواهم شبهوا برجال لهم صفة فى الحروب

فياليل طل إنا نريد إلهنا ونرجوه غفرانا لكل المآثم
ويأيها الليل الذى تم بالمنى كأن به الورقاء تشدو لهائم
ألا عمْ بهذا الشيخ مَن عم نوره ورتّل له مدحا كسجع الحمائم (١)
فقد شرف الارجاء شرقا ومغربا وكان على الأرواح أحكم حاكم
ومن نوره استسقت رجال عديدة وسارت إلى طه بضوء المباسم
ويا لَيل ما أبهاك حيث جمعتنى بشيخى ولم أحفل بأقوال لائم
دعانى إلى ما كان فى معهد الصبا وقال تسلَّ بالديار الطواسم
(ديار اللواتى دارهن منيعة بسمر القنا يحفظن لا بالتمائم)
فقلت له إن التقى غاية المنى وحب رجال الله خير المغانم
وأعرضت عن أقواله كلما أتى يجدد من ذكرى عهود الأعاجم

﴿ احتفاله بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴾

وقد جرت عادة مولانا الأستاذ رضى الله تعالى عنه أن يقيم كل سنة احتفالا عظيما بمولد سيدنا رسول الله صلى

(١) الاعم بمعنى تنعم .

الله عليه وسلم وذلك فى شهر ربيع الأول ويستمر ثمانية أيام ويبتدى من اليوم الرابع إلى اليوم الثانى عشر فيمد لذلك رضى الله عنه سرداقا كبيراً أمام منزله يسع عدة آلاف من الأخوان وفيه تقام مجالس الذكر الكبيرة التى تستمر ليلاً ونهاراً وتتلى قصة المولد الشريف وقصائد المدح فى الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم

وهو موسم خيرٍ عامٍّ ورحمة شاملة يشاهد فيها الأخوان كثير من البركات العامة التى تعمهم فى شؤنهم الدينية والدنيوية ففيه تشفى المرضى وتقضى الحاجات ويهتدى كثير من الناس بمبايعة شيخنا رضى الله عنه ويصلح الله حال المقصر من الأخوان فقد كنا نرى المقصر منا متكاسلاً فى الطاعة مسرفا على نفسه فإذا حل بتلك الساحة وتشرف بذلك الرحاب صار من الذاكرين الله كثيراً الحارصين على اتباع الشرع الشريف . ولذلك متى حل موعد المولد الشريف طارت أرواح الأخوان شوقا إلى النبى الكريم وحباً فيه وزادوا تعلقا بشيخهم الذى هداهم الله به إلى التمسك بالدين

ومراقبة الله تعالى ومداومة الذكر فى كل وقت وتراهم يوفدون جماعات من جميع الجهات حتى يمتلأ بهم المكان على سعته وهم فرحون مستبشرون فيقابلهم مولانا رضى الله عنه بالبشر والمؤانسة وهو يسأل من حضر عمن غاب مع علمه به اظهاراً لعطفه عليهم وعنايته بهم وإذا تأخر البعض عاتبه عتاباً لطيفاً وهو أقرب إلى المؤانسة منه من اللوم لأنه به يعرف المريد حب شيخه له وعنايته بشأنه ورغبته فى حضوره وكثير من الأخوان يعرض من شؤونه الخاصة على شيخنا رضى الله عنه فيقبل عليه كل الأقبال ويسهل له ما يراه صعباً من أموره ويدعو له بالخير ويشير عليه بما فيه المصلحة وقد كنا نرى بركة عرض المسائل عليه فيهون العسير وتزول هموم النفس مهما عظمت

والمولد مجتمع كبير يسر فيه الأخوان بلقاء بعضهم بعضاً ومن كان مشوقا لرؤية صديقه أو قريبه رآه فى ذلك الاحتفال العظيم وفيه يحصل التعاون من الأخوان الذين هم من جهات شتى فتعظم الألفة وتزداد الرابطة فيتعاونون

على البر والتقوى ويجد المرء عدداً كثيراً من إخوانه يحبونه ويعطفون عليه ولا يسيئوونه فى أموره وإن لم يكن ذلك مقصوداً بالذات من الاندماج فى طريق شيخنا رضى الله عنه وقلّ من يذهب إلى مدينة أو قرية إلا ورأى له فيها إخوانا من الواصلين على شيخه يسرون برؤيته ويهتمون بشأنه فأن كان له حاجة سعوا فى معاونته حسب استطاعتهم

وقد يجتمع الأخوان بعضهم ببعض بلا فارق بينهم فيتساوى فى المجلس العظيم وغيره وقد ذهبت الكلفة من بينهم فترى العلماء وأولوا الثروة والجاه يجالسون من هم أقل منهم منزلة بلا غضاضة فى النفس أو شعور بامتهان لأنهم عظمت فيهم أخوة الأيمان ونمى فيهم الشعور بأن الكريم العظيم هو التقى الصالح وهم يغبطون العابد الذاكر ويتمنون لأنفسهم التوفيق لما هو فيه ويطلبون رضاه ولو كان أقل منهم فى المنزلة الدنيوية ولذلك كان الأجتماع فى تلك الساحة وسيلة لتهذيب النفوس وتقويم المعوج من الأخوان فمن حدثته نفسه بالكبر أو رأى أى رفعة منه على غيره فى العبادة أو الجاه

ثم حضر إلى المولد الشريف رآى أكابر إخوانه وهم على جانب عظيم من التواضع والانكسار والخوف من الله تعالى فتصلح أخلاقه وتهذب نفسه ولذلك كان المولد مدرسة عملية لمكارم الأخلاق وقدوة حسنة لمن أراد عبادة الله تعالى والانابة إليه

وكان رضى الله عنه يخرج فى اليوم الرابع من ابتداء افتتاح المولد وفى اليوم الحادى عشر من الشهر في موكب كبير جدا يجمع الاخوان الخليلية خاصة فيتشابكون فى صفين طويلين يمتدان امتدادا عظيما وسيدى الاستاذ فى صدره والاخوان فى وسطه فلا يجد الاجنبى سبيلا إلي الدخول في وسطهم إلا للذكر وتراهم يسيرون بالذكر وبمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ويكون هذا شعار كبير للاحتفال بالنبي صلى الله عليه وسلم وبمولده

ولقد أخبرنا رضى الله تعالى عنه أنه كان يترك بعض خلفائه يخرجون فى الموكب مجاراة لعادة أرباب الطرق يمرون معهم مع موكب الحكومة ويعودون غير أنه رآى

النبى صلى الله عليه وسلم يقول له لماذا لا تخرج بالموكب الخاص بنا قال فعزمت على ذلك ولكن مع الثانى فجاء رجل وقال لى إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لى في الرؤية أن أخبرك لتخرج في الموكب قال فسألته عن شمائل النبى صلى الله عليه وسلم لاتأكد من الامر فأخبرنى عنها قال وجاء ثان فأخبرنى أيضاً بذلك قال فقوى عزمى والتزمت أن أقوم وأخرج فى الموكب . وكان ذلك كل عام وصار يزداد الموكب رونقاً عاما فعاما وهو على ما هو عليه من الخشوع والرهبة وليس به شىء يخالف الشرع مطلقاً وإذا به من الانس مالا يكيف . وكنا نعود مع سيدي الاستاذ بنفحات عظيمة وانشراح كبير وهمة قوية على الذكر

وكان رضى الله عنه يقوم بأطعام الزائرين جميعهم من بيته ويجدون في الطعام لذة عظيمة وبركة كبيرة مع الرغبة الشديدة في الأكل حتي أن الغالب كان لو استدام على الاكل في كل ساعة يأكل برغبة ولا يشعر إلا بالبركة والنشاط

وكان بعض الزائرين الذين لم يسبق لهم الحضور والأكل فى هذا المجتمع يعزم على أن يأكل فى خارج المولد فيحصل له عسر وتكدير وإذا عاد وأكل يذهب الكدر ويحصل له السرور فلا يعود يأكل فى غير بيت سيدى الأستاذ مطلقاً . ولا زال هذا الحال إلى الآن أدامه الله وابقاه ألى يوم الدين

وكان فى الأيام الاخيرة فى سنين الحرب يمنعون الأحتفال بالمولد ليلاً وكنا نقول له إن الحكومة تعارضنا فكان يقول لابد من عمله على بركة الله وللبيت رب يحميه وكان يقام الأحتفال فلا يكون فى الزفازيق احتفال غيره ولا يمكن لأحد أن يعارضه مطلقاً

ولقد زار هذا الأحتفال سعادة مدير الشرقية عام ١٣٣٥ وأعجب به وبالتزامه أوامر الشرع وآدابه وكثرة الأجتماع واستمع الألهام واختبر قائليه حتى طرب كثيراً وكان معه جملة من الموظفين من قضاة المحاكم ورجال البوليس وغيرهم

وكان يزوره فى كل عام موظفو الحكومة وقضاة المحاكم الاهلية والشرعية ويستمعون فيه الذكر والمنشدين والكلام العالى من التوحيد وتفسير القرآن ومدح النبى صلى الله عليه وسلم وقصة المولد النبوية . وبالجملة فأن هذا الموسم من أعظم مواسم العبادة وفيه جملة مزايا عظيمة ولا زال على هذا الحال ألى الآن أدامه الله وأبقاه على هذا المنوال ألى يوم الدين

الخلفاء وآدابهم

وكان شيخنا رضى الله تعالى عنه يأمر بعض أتباعه الذين يرى فيهم الكمال والصلاح بتلقين الذكر والمبايعة له بالخلافة والأرشاد فيدعون الناس للخير ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فكانوا يقومون بالأمر امتثالا لامره ويذهبون ألى البلاد التي يأمرهم بالتوجه اليها . فكانوا يلاحظون كمالات الأستاذ رضى الله عنه وآدابه

وأوامره ويأمرون بها ويعرفون المريدين به وبمكانه ولا يجعلون لأنفسهم يداً مع يده . ولا مقاماً كمقامه . ولا يتصدرون للمشيخة ولا ينسبون لهم أتباعاً أو مريدين بل يعرفون ويحققون أن الأتباعَ أتباعُ الشيخ والمريدين مريدوه وأنهم جميعاً سواء إخوان فى الله فينتفعون بالمدد مع المريدين لأن مدد الأستاذ سيار يسير مع المريد أينما سار وربما أمدّ الله بعض المريدين بمدد عظيم فصار من المقربين

والمريدون يعظمون هذا الخليفة الذى أخذ عليهم العهد ولقنهم الذكر ويحترمونه غاية الاحترام ويمتزجون به فتصفوا بواطنهم معه ويتعلقون به لأنه هو الواسطة الذى عرفوا الأستاذ به فلا يفضلون عليه غيره ويتأدبون معه ببركة الذكر فيتوصلون بذلك إلى الأدب مع الأستاذ الأكبر رضى الله تعالى عنه . وتراهم لايبحثون فى أحوال الخلفاء ولا في رقيهم ولا فى درجاتهم ولا في تفضيل واحد على الثانى . فلو بدت إشارات أو كرامات

أو إلهامات أو آداب من البعض إلى البعض فيردونها إلى الشيخ الأكبر وإلى سر الطريق . ولا يقولون هذا أصلح من هذا أو هذا أكبر من ذلك . ولا يتجهون لأحد غير من أخذوا عنه بعد الأستاذ الأكبر رضى الله عنه ويحترمون الكل خصوصا إذا كانوا قليلى الاجتماع بحضرته ويرون في ذلك سلامة لهم ولقلوبهم وبعداً عن الأغيار وشغلا بالله دون الناس

ورأينا من أسرار الطريق فى أحوال الخلفاء أحوالا غريبة وطرقاً في الدعوة من غير اختيار . فربما أطلق الأمر لواحد يدعو بالاشارات وللآخر فيدعو بالأحوال . وللثالث بالسر فتميل إليه الناس بلا دعوة منه ولا كلام . وانما أمدّه الله سبحانه وتعالى بمدد المحبة فتحبه الناس وتأخذ عنه وتعمل بعمله والله تعالى يراه ويكرمه أينما سار . وقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادى في أهل السماء

إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض

ورأينا أن الباحث فى أحوال الخلفاء والنظر إلى أعمالهم وتفضيل البعض على البعض يوجب الجفاء . وربما لاتصح لمثل هذا الباحث تربية إذا نقد صاحبه الذى أخذ عليه العهد فى شئ ويذهب نوره ومكانته من القلوب حتى من الأجنبى . والخلاص من هذا أنه يلزم احترام الكل وتعظيم الكل ويتجه بكليته إلى الأستاذ الأكبر لينجوا من آفات المقت والطرد

ورأينا من آداب المأذون بالتلقين أيضاً عدم ذهابه إلى البلاد التى يذهب فيها أخوه ويلقن فيها الذكر فأن ذهب لا يرضى أن يتصدر للإرشاد أو لتلقين العهد بوجوده حتى ولو قدمه أخوه حرصاً على قلوب المريدين لأنه يريد بالناس خيراً والكل فى طاعة وفى غرض واحد وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتلقين العهد وتوصيل المريد الى الشيخ الأكبر . ومتى قام به واحد سقط عن الثانى

ووجهة الاثنين هو الله تعالى (فما كان للدنيا ولو فى الظهور فى عمل الخير فهو من الأغيار)

ومن أدب المأذون بالتلقين أيضاً أنه كان يتصاغر أمام أخيه فطرة فيه لايتكلفها ولا يتصنعها ويستفيد منه علماً بأنه ربما فتح الله عليه فى حضرة من حضراته بعلوم تنتفع به مريديه وهو لايعلم منها شيئا

ومن أدبه أيضاً أن يمدد محاسن أخيه لإخوانه الذين تلقنوا عنه ويذكره بالخيرلهم ليقوى حبه فى قلوبهم لينتفعوا به وينتفع بهم . ومن فعل غير ذلك وذكر شيئا يقلل من احترامه عندهم كان سبباً فى هلاك كثيرين وانقطاعهم عن العمل فيكون قد فعل ضرراً لاصالحاً وهو غير المطلوب

ومن أدب المأذون أيضاً أنه يعلم أن العطاء من الله تعالى فإذا أحس بشئ من عطاء الله تعالى خاف السلب وازداد خوفه من الله تعالى خوف الاستدراج لأن الله تعالى لايسلب المطية بل يسلب السر الذى أدرجه بها

فيذهب نور كلامه ولا يقبل عليه أحد كما سمعت ذلك من
شيخي رضى الله عنه . فأن الكرامة لله تعالى إذا أراد
أن يظهرها أظهرها على أي عبد من عبيده فلا قدرة لمخلوق
مع قدرة الخالق سبحانه وتعالى

والمأذون له في الكلام يظهر عليه نور فيؤثر كلامه
في القلوب ولو كان كلاماً عادياً . وأما من لم يؤذن له فلا
يؤثر ولا يلتفت اليه ولو كان مصوغاً في أبدع قالب من البلاغة

ولقد كنت أسمع شيخي رضى الله عنه أذا حلّ
بلد من البلاد التى عاهدها أحد خلفائه يمدح ذلك الخليفة
ويعدد أحواله الصالحة . ويذكر عنه الكرامات والعطايا
التى منحها الله أياه ويكرمه غاية الاكرام ويواليه حتى
يظن الناس أنه أكبر خلفائه فيكبر في أعينهم ويعظمونه
ويتعلقون به فينتفعون به انتفاعاً كبيراً ويكثر الاجتماع
عليه فتقوى رابطة المحبة والذكر ولا يتشتتون

وكان سيدي فى بعض الأحيان يأمر الخليفة أن
يلقن العهد للطالبين فى حضرته ويقول الشجرة واحدة

وإرسال الخلفاء سنّة فقد مر عليك أن النبيّ صلى
الله عليه وسلم كان يرسل السرايا من أصحابه يؤمّر عليهم
رجلاً من أصحابه من ذوى الخبرة والصلاح ليبايع له

على أن نور الدعوة سارٍ فى الأتباع صغيراً أو
كبيراً ومدد الشيخ أيضاً يعم الجميع . فلقد كنا نجد
الفتح على الكهول والشبان ممن تعاهدوا مع الخلفاء
والمأذونين وتظهر فيهم البوادر . واللوامح . وطوالع
الكشف والالهام قبل أن يروا الأستاذ الأكبر
فسر الأستاذ مقرون بإذن الدعوة ومدده سيار . فإذا
كان سره هذا ظاهراً فيمن أخذ على خليفته فكيف بخلفائه
والحق أنهم غير محرومين إلا من نظر إلى نفسه ورأى له
يداً مع يد الأستاذ أو نسب له أتباعاً أو غير ذلك من
الأحوال القاطعة المنهى عنها . وهي ربما تصدر من طيبي
القلوب ويحسبون أنهم يحسنون صنعا

آداب المريد مع الأستاذ

تراهم يجلونه ويحترمونه ويهابونه وهذه خاصية من خواص الذكر لأن كثرة الذكر تورث قوة في القلب يدرك بها قوى الأرواح الأخرى فكل شخص بحسب حاله وإدراكه مقام شيخه

على أنهم كانوا إذا جلسوا فى حضرته يجلسون مع الأدب ظاهراً وباطناً يعظمونه في الظاهر ويرهبونه فى الباطن لا يعترضون على شيء فعله مطلقاً ويؤولون ما أبهم عليهم من أحواله . على أنه رضي الله عنه كان متمسكا بظاهر الشرع ما أمكن فكان لا يأتي بشيء يوجب الاعتراض عليه حتي لا يوقعهم فى الظن ولا في التأويل

وتراهم لا يقدمون أحداً مطلقاً عليه ولا يلتجئون لأحد من الصالحين مطلقاً لأن تعلقهم بحضرته وحبهم له وشعورهم بالمدد الواصل اليهم منه كان يغنيهم غيره فكانوا لا يحضرون مجلساً غير مجلسه ولا يسمعون من سواه . على

أنهم كانوا يحبون الصالحين ويتبركون بهم لكنهم كان الغالب منهم لا يزورون ولياً أو صالحاً إلا بإذنه فيحصل له بركة الزيارة بسبب الأذن . وقد ذهب بعضهم إلى زيارة رجل عظيم من الأولياء فأكرمهم إكراماً عظيماً وقال لهم على غير معرفة منهم إنما أكرمتكم لمنزلة شيخكم فلا تذهبوا إلي غيره . وبذلك كانوا يستقون من سره وهذا شأن الصادقين فى المعاملة لأن كثرة النظر إلى الغير وملاحظة أحوال المشايخ وتفضيل البعض على البعض يوجب تشتيت القلب ويكثر من الأخذ والنقل ويورث العمل بالرسوم فلا يصح لمن يفعل ذلك تربية مطلقاً ولا يتقدم فى السير وإنما يكون شأنه كالرحالة الذى ينقل الأخبار بدون عمل(١) على أن الغرض من مصاحبة الأستاذ هو العمل بطريق الإخلاص والسير فى الطريق التى توصل

(١) قال الامام السهروردي — قد ينفسد المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فسادهم فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فمال إليهم بجنسية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية

العبد بقلبه إلى ربه لا قصد التبرك فقط كما يفعله بعض الناس من المقلدين الذين يظنون أن طريق الله هو التقيد برسوم أعمال القوم ظاهراً ولا يفهمون من عمل الباطن شيئاً أخلص الله قلوبنا وسدد أعمالنا بالخير

وكانوا إذا جلسوا لا يتكلمون إلا بالذكر القلبي حافظي قلوبهم فى حضرته . وكان لا يجلس أحد منهم وهو واقف ولا يجلس فى المكان المعد له ولا ينام بحضرته إلا إذا أذن له وأغلظ عليه فيقبل الأمر فى محل الضرورة لكونه معه في مكان واحد وليس غيره . وهذا أجلالاً منهم لمقامه

وكانوا لا يلحون عليه فى أمر يسألونه فيه أو يطلبون موافقتهم عليه أو يحسنون له الامر الذى يكون فيه هواهم بل أنهم كانوا إذاسألوه في أمر يجيب عليه فى الحال وكان

حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله تعالى فاكتسب من طريقهم الفتور فى الطلب والتخلف عن بلوغ الارب فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ من الصحبة أصفى الاقسام اهـ

جوابه هذا هو الصواب فإذا طلب أحد منه الاذن بغير ما أجاب به فى أول الامر وأذن له موافقة لطلبه لا يصح ماطلب لانه برغبة الطالب لا برغبة سيدنى الاستاذ وجواب الاستاذ رضى الله عنه إنما أتى بطريق الإلهام والنظر الثاقب

وكان لا يسافر أحد منهم ولا يتزوج ولا يعمل فعلا من الامور المهمة إلا باذنه لانهم وجدوا فى ذلك الخير والبركة

وكانوا لا يمشون أمامه ولا يساوونه في مشيته إلا إذا كان فى ليل أو فى طريق غير منتظم فيكون صونا له عن مصادفة شيء مما يتضرر به أو يؤذيه

وكانوا لا ينظرون إلى ما يفعله مع بعضهم بل كان كل واحد منهم فى حال مخصوص معه فلا ينظر إلى مايفعله مع غيره أو يقول لم فعل كذا بفلان ولم يفعل بى . وقدشاهدنا أن من يقول لم فعل كذا وكذا يطرد ولا تصح له تربية

وكان الكل مسلماً له القياد فيمتثل الأمر فى العبادة

وغيرها فكانوا يرون فى الامتثال الخير والبركة . ولقد مر عليك أنه كان لايأمرهم إلا بما يصلح لأمورهم الدينية والدنيويه بغير سيطرة عليهم إنما كان بغاية اللطف والأنس أشبه بعرض الحال إذا اقتضى الأمر ذلك لأنه كان لايتعرض لأحد فى أحواله الدنيوية إلا اذا هو عرض عليه ذلك

وكانوا لايبحثون فى أحواله مطلقاً من عبادة أو عادة ولا يتداخلون فى أحواله المنزلية أو الشخصية ولا يدخلون عليه مكاناً يختلى فيه إلا بإذنه ومن فعل ذلك كان لايسلم

وكانوا لايقدمون محبة غيره على محبته إلا الله ورسوله أذ المقصود من محبة الشيخ محبة رسول الله ومن محبة رسول الله محبة الله سبحانه وتعالى وهو المقصود بالذات ومحبة الشيخ وسيلة لهما لأنه بحبه للشيخ يحب من يحبه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُحشرُ المرءَ معَ مَنْ أَحبَّ) وقال العزيز بن عبد السلام كل من يهوى حبيباً فمع المحبوب يحشر

وكانوا لايعاشرون من كان الشيخ يبغضه أو يطرده أو من كان يبغض الشيخ . ولقد نقل عن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها أنها قالت

وإذا محبي قد ألاذ بمبغضى * فكلاهما فى البغض مشتركان

وقصارى القول أنهم كانوا يتأدبون بأدبه ويأتمرون بأمره ويحفظون قلوبهم في حضرته فيسري إلى باطنهم سراج يقتبس من نور الشيخ رضي الله عنه فيكون كلامه فى قلب المريد ثابتاً كالحبة التى تبذر للنبات ومقاله الذى يصدر من نفائس حاله ينتقل من الشيخ الى المريد بسر الذكر وبواسطة الصحبة وسماع المقال

ولا يكون ذلك إلا لمن حصر نفسه مع شيخه وانسلخ من إرادة نفسه وترك اختيارها فامتزج وارتبط بروحه وطهرت نفسه بتآلف إلهى فيرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى فيتولاه ربه . وكنا نرى ذلك فيهم . أما هذه الآداب فمع أننا نجدها فيهم فطرة يفطرون عليها بمجرد الإندماج في سلك الطريق

والعمل الصحيح والذكر فأننا نجد أصلها فى السنة السمحاء فقد كانت الصحابة تفعل ذلك مع النبيّ صلى الله عليه وسلم فاقتداؤهم بنبيهم تربية للروح على الآداب المحمدية قال تعالى (يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنوا لاَ تَرفعوا أَصْوَاتَكُمْ فوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ وَلاَ تَجْهَرُوا لهُ بِالْقول كَجَهْرِ بَعضِكُمْ لِبَعْضٍ أنْ تَحبَطَ أَعمالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشعرُونَ . إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُولئِك الَّذِينَ امْتَحنَ اللهُ قلوبَهُمْ لِلتَّقوَى لَهمْ مَغفِرَةٌ وأَجرٌ عظيمٌ) — وفي الحديث (مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعطاهُ صَفقَةَ يَدِهِ وَثَمرَةَ قَلبِهِ فَلْيُطِعهُ إِنِ اسْتَطَاعَ)

وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُنزل الناسَ منازلهمْ

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه كل شىء وكان التابعون يفعلون ذلك اقتداء به وهكذا سرى العمل بطريق التلقى والأخذ من الأرواح الصحيحة

الصادقة . ولا يخفى أن تأثير الروح فى الإلقاء أقوى من العمل بطريق النقل كما هو مشاهد

آداب المريد فى نفسه

ترى كل واحد مشغولاً بالله زاهداً ما سواه يحب مايحبه لله تعالى ويكره كل مانهى عنه غاضاً طرفه عن المحارم كريماً سخياً ليس للدنيا عنده قيمة لايتوسع فى أكله أو شربه أو ملبسه أو أحواله الدنيوية بل يقتصر على قدر الكفاية فتراه رضيا بما قسم له لايلتفت لشىء غير عمله الدنيوى فيما هو مسخر فيه للحصول على المعاش وعمله الأخروى فوق ذلك كله لأنه هو المقصود فتراه كالمسافر يأخذ عدة السفر فى سيره إلى أن يصل إلى الجهة التى يقصدها فيترك العدة وهكذا المسافر إلى الحق سبحانه وتعالى لايشتغل بغير الضروريات

والغالب عليهم أنهم يديمون الطهارة ما أمكنهم وسمعنا

من الغالب أنهم لا ينامون على جنابة وأنهم لا يكشفون عورتهم إلا للضرورة ولو بخلوة

ورأيناهم لا يطمعون فيما فى أيدي الناس ولا يفرحون لإقبال الناس عليهم ولا يغضبون لإعراضهم

ورأيناهم يحاسبون أنفسهم على الدوام دائبين على ذكر الله تعالى سراً وجهراً بهمة ونشاط

ورأينا بعضهم يأخذ له مجلساً مخصوصاً سواء كان بالمسجد أو في بيته أو مع إخوانه يذكر فيه الأسماء المأمور بذكرها من أسماء الله تعالى الخاصة بالطريق فتراه مشغولا بربه على أى حال

ورأيناهم لا يأكلون إلا الحلال . وقد قال بعض الصوفية الأكل الحرام ينبت المعاصى فى القلب ويسوّده

وتراهم لا ينتظرون بذكرهم وعبادتهم ثواباً ولا فتحاً وإنما يعبدون الله تعالى مخلصين بقلب وضيع نظيف في الظاهر والباطن مع الصبر والاستمرار شاكرين لا يشتغلون إلا بالذكر مع الخوف من الله تعالى لا يرى

الذاكر منهم لذكره وجوداً بل يرى أنه يستحق العقاب لولا فضل الله عليه

وتراهم يقتدون بالصالحين من إخوانهم فى الاعمال الصالحة ولا يقلدونهم في أحوالهم الذين لا يعرفون عنها شيئا ولا يتصنعون كلاما من كلامهم لأنهم يعتقدون أن هذا يوجب المقت والطرد ويغلق باب الفتوح واعتقادهم هذا محقق

وتراهم يتقون الفتنة فى الدين ويتباعدون عن الجدال فيه خصوصاً مع مرضى القلوب لأن المجادِلَ لا يقتنع بأى وجه من الوجوه ولو مَـلأت له ما بين السماء والأرض أدلة وبراهين فإنه يصر على تقوية حجته بالبرهان والأضاليل والتهويش مع أنه لو أرجع قلبه إلى الله تعالي وحاسب نفسه معه لخشع واقتنع . فحفظا للقلب تراهم يبتعدون عنه ويتركونه إذ المقصود للعمل لا المناظرة التى يقال فيها غلب فلان أو فلان

وتراهم يسألون عن أمور الدين إذا كانوا محتاجين لذلك

بدون سآمة أو حياء مهما كان الأمر حتى على أقل شئ إذ لاحياء في الدين

وتراهم يحافظون على برّ الوالدين ولا يخالفونهم في شئ مطلقاً إلا إذا منعوهم عن الطاعة لأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق

وتراهم يرضون بالقليل ويرون الزهد عدم النظر إلى مافي أيدى الغير والزهد فيما سوى الله تعالى . وتراهم يجدون ويشتغلون مع الزهد سعياً على المعاش فلا ترى واحداً عالة على غيره من أهل بيته أو متسولا أو عالة على الناس بل يجاهد ويشتغل فيقوم بمعاشه ومعاش من تلزمه نفقته بقدر مايعينهم على طاعة الله ورد مصائب الدهر

وتراهم يبتعدون عن الكبائر ويشفقون منها ويتناهون عن منكر يرونه . وتراهم ينفرون من فاعل الكبيرة ويخافون من الاختلاط به خوفاً على قلوبهم . وربما يحصل النفور بمجرد مايرونه بدون أن يعلموا عنه شيئاً . وهذا من سر الذكر الذى أورث لهم صفاء الباطن حتى نظروا

بمرآة قلوبهم ماتلبس به غيرهم من الكبيرة فينفروا عنه

وتراهم يبتعدون عن الغيبة ويكرهون اسمها ويفرون منها فلا يذكر إنسان بمكروه فى حضرتهم . ولو حصل هذا وكانوا مجتمعين لاتطيق صدورهم ذلك وربما تفرقوا فلا يلتئم اجتماعهم إلا إن تحوّلوا إلي الذكر واستغفروا ربهم فيعود لهم أنسهم

والغيبة منهى عنها شرعاً ومشدّد بالوعيد عليها قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله)

والعاملون المحبون يرون أن الغيبة توجب الغفلة عن الله تعالى وتحجب العبد عن ربه . والمغتاب لايفتح له باب السلوك . وقد ذمّ بعض الاخوان فاسقاً منهمكا ممن ينكر على الشيخ فزجره الشيخ وقال له قد اغتبته فاستغفر

له ماية مرة ففعل

وكانوا يبتعدون عن مجالسة النساء أو سماع كلامهن أو الكلام فيهن ويشفقون من ذلك ويكرهون الزاني . فإذا اضطر بعضهم إلى مجالسة امرأة من المحارم أو الأقارب كان لا يختلي معها ولا يكلمها إلا فيما ينفع في الدين أو الدنيا بما لا يخرج عن حد الشرع وذلك ببركة الذكر وسر الطريق لأن النساء فتنةٌ ضارة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَا تَرَكْتُ لَكُمْ بَعدِي فِتنةً أَضرَّ على الرجال من النساء) رواه البخاري ومسلم

وتراهم يباعدون أنفسهم عن النظر إلى الصور الجميلة من النساء والاحداث لأن ذلك يسد باب الفتح

وتراهم يكرهون الكذب والكذاب لأنهم متجملون بالصدق فإذا اضطر بعضهم إلى احتيال يسوق فيه كلمة غير صحيحة لا يمكنه المقال ويظهر على وجهه ذلك فإذا كذب عليهم أحد لا يفتأ أن يرى في المجلس من يكذبه ويُظهر كذبه فلا يعود اليه . ولذلك تراهم لا يشكون في بعض

ويأخذون الكلام منهم بالتصديق

والكذب ممقوت لما ورد فيه من كتاب الله تعالى قال تعالى فنجعلْ لعنةَ اللهِ على الكاذِبينَ . وقال تعالى . وَالخامسةُ أنْ لَعنةَ اللهِ عَليهِ إنْ كانَ مِن الكاذِبينَ . وقال تعالى . وَيومَ القيامةِ تَرَى الذِين كَذبوا عَلى اللهِ وُجوهُهُمْ مُسودّةٌ

وروى البخاري عن عبد الله عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال إن الصّدقَ يَهدي إلى البرّ وإن البرّ يَهدي إلى الجنة وأنّ الرّجُلَ لَيصدُقُ حتى يَكُونَ صِدّيقاً وإنّ الكَذبَ يَهدي إلى الفجُور وإنّ الفُجورَ يَهدي إلى النّار وإن الرّجلَ لَيكذِبُ حتى يُكتبَ عندَ اللهِ كذّاباً

وتراهم يغبطون بعضهم بعضاً في العبادة ويشفقون من الحسد ويحاسبون أنفسهم عليه ويكرهون الحاسد وترى القلوب تنفر منه أن وجد بينهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والحسد فإنه يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ أو قال

المشب رواه الترمذى

وقال فيما روى عن الزبير رضى الله عنـه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دَبَّ إليكمْ داءُ الأُمم قبلكمْ الحسدُ والبغضاءُ وهى الحالقةُ أَمَا إنى لا أقولُ لكمْ تَحلقُ الشَّعر ولكن تَحلقُ الدين والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنةَ حتى تُؤمنوا ولاتُؤمنوا حتى تحابُّوا ألا أدلكم على ما تحابون به أفشوا السلام بينكم

وتراهم لايحرصون على شيء من الدنيا بل أن الحريص على الدنيا أو الشرف للدنيا ينزل بمجرد الاندماج فى سلك الطريق والذكر فلا يحرص وينفق فى سبيل الله تعالى من غير كره فى نفسه بل يحبب ذلك إليه ويُصبح كأنه فطرةٌ فيه فتي وجد أنفق فى سبيل الله ولكن يحرص على الدين .

أما الحرص على الدنيا فممقوت ورد به حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (مَا ذئبانِ جائعانِ أُرسِلاَ في غنمٍ بأفسدَ لها مِنْ حِرصِ المرْءِ على المالِ والشرفِ لِدينه) أخرجه الترمذى وصححه

ومعناه أن حرص المرء على المال والشرف مفسدة لدينه كما يفسد الذئبان الجائعان الغنم إذا أرسلا فيها ولم يمنعا منها

وترى أيضاً أن المتكبر بمجرد اندماجه فى الذكر يرى نفسه صغيراً ويعرف أن الكبر مذلة فيخضع لله ويضع نفسه له ويرى أنه أقل الناس فينتفع من الشيخ وتربيته . وقد رأينا أن من أصر على الكبر لايستمر فى الطريق ويحجب ولا يُقبلُ عليه أحد

والحقيقة أن الكبر ممقوت لأن العظمة والكبرياء لله تعالى لايشاركه فيهما أحد . قال تعالى (أَليسَ فى جهنَّمَ مثوًى للمتكبرينَ) وقال تعالى (لاَ جرَمَ أنَّ اللهَ يعلمُ مايُسرُّونَ وما يُعلنونَ إنَّهُ لاَ يُحب المتكبرينَ) وقال تعالى (سأصرفُ عنْ آياتِي الذينَ يتكبرونَ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرُ ردائي والعزُّ إزاري فمن نازعني شيئاً منهما

عذّبته) أخرجه مسلم وأبو داود

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون أمثال الذرّ يوم القيامة يغشاهم الذّل من كلّ مكانٍ يُساقون إلى سجنٍ في جهنّم يُقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال أخرجه الترمذي

وترى أيضاً أن من سلك الطريق لا يرى لنفسه حالا يُعجب به في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة فلا يفتخر على أحد بشيء ولو كان من ذوى الجاه أو المال أو التوفيق في الطاعة . ومن أكرمه الله تعالى منهم بتوفيق في العبادة أو حال فيها لا يرى نفسه إلا مقصراً ولا يستحق إلا العقوبة ويخشى من مكر الله تعالى ويفر من رؤية شيء لنفسه حتى ولو كان صاحب كرامات أو كشف فأنه يختفي جداً ولا يرضى أن يظهر للناس خوفاً على نفسه من مكر الله

ولقد رأينا كثيراً ممن وفقهم الله وسرى فيهم نور

الهداية وهدى الله على يديهم من يعبد الله اذا رأى نفسه في شيء أو ظن أن له حالا ينعكس عليه الأمر وتنفر الناس منه فعند ما يرى ذلك يلتفت لذلته ويتوب ويندم وإلا عوقب بالطرد والانقطاع نعوذ بالله ونسأله اللطف فيما جرت به المقادير

آداب الأخوان وحقوق الصحبة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من الأخوان فأن لكلّ مؤمن شفاعة يوم القيامة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتحابّا رجلان في الله تعالى إلاّ رفع الله لهما كرسياً فأجلسهما عليه حتى يفرغ الحساب

وفي الحديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلّه . امام عادل . وشاب نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ . ورجلٌ قلبه معلق بالمساجد . ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات

حسن وجمال فقال إني أخاف الله . ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شمالهُ ما تنفق يمينه . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه رواه الشيخان عن أبي هريرة

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول أين المتحابُّون بجلالي اليومَ أُظلُّهمْ في ظلي يومَ لاَ ظلَّ إلاَّ ظلي رواه مسلم

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّ مِنْ عِبادِ الله أُناساً مَاهمْ بأنبياءِ ولاَ شُهداءَ يَغبطُهمْ الأنبياءُ والشهداءُ يومَ القيامةَ لمكانهمْ من الله تعالى قالوا يارسول الله أتخبرُنا من هم قال هُمْ قوم تَحابُّوا بِرُوحِ اللهِ على غيرِ أرْحامٍ بَينهمْ ولاَ أموالٍ يَتعاطونها فواللهِ أنَّ وُجوهَهُمْ لنورٌ وأنهمْ لعلى نُورٍ لاَيخافونَ إذَا خافَ النَاسُ ولاَ يحزنونَ إذا حزنَ الناسَ وقرأ هذه الآية (ألاَ إنَّ أوْلِياءَ اللهِ لاَخوفٌ عليهمْ ولاَهمْ يحزنونَ) أخرجه أبو داود

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نَفسي بيدهِ لاَتدخلوا الجنة حتى تُؤمنوا ولاَ تُؤمنوا حتي تَحابّوا أَوَلاَ أدُلُّكم على شيْ إذَا فَعلتموهُ تَحاببتم أفشوا السلامَ بَينكمْ رواه مسلم

ومن سر الطريق أننا رأينا أول شيْ يبعث في قلب المريدِ حُبُّه لإخوانه وتهافته عليهم وتآلفه لهم وتتبع اجتماعهم فترى حبَّه من غير علة لا لشيْ سوى حبه في الله . وهذا من أقوى الأسباب لهداية الروح ورقيها وتهذيب النفس وتحضيرها واستعدادها لمعاملة الخالق سبحانه وتعالى

فتراهم يتشوَّقون لبعضهم تشوقاً عظيما جداً وترى البعض إذا قابل أخاه كان منه على شوق كبير . وفي الحديث نَظرُ الرَّجلِ لأَخيه على شَوْقٍ خيرٌ من إعتكاف سنةٍ في مسجدِي هذَا

وتراهم يعظمون بعضهم بعضاً ظاهراً وباطناً بقلوب كلها إخلاص لله تعالى حاضرين وغائبين . وترى كل واحد

منهم يرى نفسه دون الآخر على الدوام

وتراهم يخدمون بعضهم بعضاً خدمة خالصة لوجهه الكريم من غير نظر إلى أجر أو ثواب فلا تجد منهم من يترفع عن خدمة أخيه مطلقاً مهما كبر مقامه

ومن أدابهم أنهم لايستحقرون أحداً منهم مطلقاً لأنهم يرون أن العاقبة خافية عنهم . والعبد لايدرى بما يختم له . وإذا رأوا عاصياً يأسفون ويخافون على أنفسهم ولا يسخطون عليه بل يدعون له . ويعتقد الواحد منهم أنه ربما كان فى علم الله أنه أعلى منه مقاماً ويشفع فيه يوم لاينجوا إلا من أتى الله بقلب سليم

ومن أدابهم أيضاً أن الكبير يحترم الصغير بل يحكم بأنه خير منه باعتبار أنه أقل منه ذنباً والصغير يحكم بأنه خير منه باعتبار أنه أقدم منه فى السير الى الله تعالى ونال الخير والرضا بصاحبة الأستاذ المدة الطويله

وترى الواحد منهم إذا قدم عليه أخوه فى مجلس تلقاه بالترحاب وطلاقة الوجه من غير تكلف ذلك مطلقاً وأجلسه

فى المكان اللائق به وإذا كان فى مجلس مزدحم وجدتهم أفسحوا له المكان حتى يجلس . فكان ذلك يزيد فى تقوية المودّة والألفة والرابطه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنُ للمؤمن كالبُنيان يَشدُّ بعضه بعضاً رواه الشيخان. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلُ المؤمنينَ في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكي منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى رواه الشيخان

ومن أدابهم أن الشخص منهم إذا أراد أن ينادى أخاه ناداه بالتعظيم وإذا وجد أنه لايضره المدح مدحه وأثنى عليه بما منّ الله عليه به بلا مبالغة لخبر إذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الإيمان فى قلبه . فأنه متى كان مؤمناً حقاً حمد الله وشكره ودعا للمادح بخير . أما إذا رأى أنه يتكبر ويعجب بنفسه فلا يمدحه ويرى الأسلم له عدم المدح . فقد ورد فيما رواه الشيخان عن أبى بكرة رضى الله عنه أن رجلاً ذُكرَ عند النبى صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجلٌ خيراً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم

ويحك قطعت عنق صاحبك يقوله مراراً ان كان أحدكم مادحاً لامحالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله ولا يزكى على الله أحد اه .

على أننا نرى عندهم كمال إيمان ويقين فلا يفتتنون بذلك ولا تلعب بهم نفوسهم وترى أنهم يتأذون من المدح ومن رأى منهم أن أخاه يتأذى من مدحه فلا يؤذيه

ونراهم أيضاً يتصافحون عند اللقاء بنية التبرك وامتثالاً لخبر لذا تصافح المسلمان لم تفترق أكفهما حتى يغفر الله لهما . وأيضاً اقتداءاً بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري عن قتادة رضى الله عنه قال قلت لأنس أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم . ومع انهم يكثرون من المصافحة إلا أنهم لايخرجونها عن حدها الشرعي ولا يبالغون فيها لدرجة تخرجهم عن حد الأدب المطلوب أو تكون المصافحة بغير سبب فلا يتصافح أحد فى المجلس من غير حاجة ولا يقبل يد أخيه من غير لزوم والغالب فيهم حتى

المسن لا يرضى بتقبيل يده

ومن آدابهم أنه لو رأى أحد على أخيه مايشينه شرعاً فأنه يمسك لسانه عنه فلا يقدح فى عرضه ويستغفر له وينصره بأن يذكر له الأمر على الوجه الذى يمكنه تذكيره فيه بحكم الله ليبعده عنه ويتوب منه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنصر أخاكَ ظالماً أو مظلوماً قالوا يارسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال تأخذُ فوقَ يدِهِ

ومن آدابهم أيضاً أنهم إن سمعوا شيئاً عن أحد من إخوانهم في غيبته ردّوا هذه الغيبة عنه ولو بلغ أحد منهم أن الغائب يتكلم فيه بشيء يترفع هو عن الكلام فيه ويدعوا له ويستغفر له ويقرأ له الفاتحة خوفاً من أمرين .

الأول لتكون معاملته لله سبحانه وتعالى فلا ينتصر لنفسه .

والثانى خوفاً إن تكلم فيه ووقع الصلح بعد ذلك فيتذكر ماوقع منه فيتكدّر عليهما صفاء المودّة والصحبة — وعلى الأخص لذا كان سبق لأحد منهما يد

من صنائع المعروف على أخيه فأن صاحب اليد يخاف أن يجد في قلبه منة عليه والله سبحانه وتعالي صاحب المنة . والثاني يخاف أن يكافئه بالوقوع فى عرضه

ومن صفات المحبين الذين يحبون الله أنك تراهم دائماً على الكمال فى المحبة بينهم متبعين السنّة السمحاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحبِبْ حبيبكَ هوناً ما عسى أنْ يكونَ بغيضكَ يوْماً ما وأبغضْ بغيضكَ هوْناً ما عسي أنْ يكونَ حبيبكَ يوْماً ما

وتراهم لو قدّر الله على البعض الوقوع فى شيء في حق أخيه رأيته بادر الى الإستغفار والندم واعتذر اليه معترفاً بذنبه مستسمحاً له طالباً قبول العذر والسماح فكان يقبل الآخر منه ذلك . وقد ورد فى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم مَنْ أتاهُ أخوه مُتنصلاً منْ ذنبه فَليقبلْ إعذارِه مُحقا كانَ أوْ مُبطِلاً فأنْ لم يَقبلْ لمْ يَرِد على الحوْضِ يومَ القيامة

وتراهم على هذا الحال لاتحصل بينهم البغضاء لأنها

لاتكون إلا لمظاهر الدنيا . وحب الدنيا ممنوع من قلوبهم فأنها رأس كل خطيئة . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغضاء والشحناء وسوء الظنّ في جملة مواضع منها ماروا البخاري عن أنس لا تَباغَضوا ولاَ تَحاسَدُوا ولا تَدابرُوا وكُونوا عِباد الله إخواناً ولاَ يحلّ لِمُسلمٍ أنْ يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثةِ أيّام

وعن أبى أيوب لايحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فَيُعرِضُ هذا ويعرِضُ هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام

وقد حث الشرع على التآلف وارتباط القلوب بعضها ببعض قال تعالي (وأَطيعوا اللهَ ورسُولهُ ولاَ تنازَعوا فتفشَلوا وتَذْهبَ رِيحكُمْ واصبرُوا إنّ اللهَ معَ الصابِرينَ

وقال تعالى (واعْتَصِموا بِحبلِ اللهِ جميعاً ولاَ تفرّقوا واذْكرُوا نِعمةَ اللهِ عليكمْ إذْ كُنتمْ أعداءً فألّفَ بينَ قُلوبِكُمْ فأصبحتُمْ بنعمتِهِ إخواناً

وقال تعالى (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)

وقال تعالى (إنّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة)

وقال تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً)

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر مانهى الله عنه . وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فقال انظروا هذين حتى يصطلحا

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلي صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم

وعلى ذكر هذه الآداب أذكر هذا التخميس الذي نظمه والدي الأستاذ العلامة العارف بالله الشيخ

أحمد الحلواني (١) غفر الله له ورضى عنه عند ماطلبه منه بعض سادات الصوفية ليقولونه في الجمع عند اجتماع القوم في الأذكار وسماه (البستان) وفيه حث على حفظ حقوق الصحبة وبعض آداب الطريق وهو هذا

ألا ياقوم حييتم وأعطيتم رضا الرحمن

ألا ياقوم حييتم وأسعدتم ورقيتم
ووفقتم ونجيتم وبلغتم لماشيتم
وأعطيتم رضا الرحمن

ألا قدطابت النفحة بهذا الجمع والفرحه
فيامن بالمنحه على كل أفض نفحه
من الاسرار ياحنان

ألا ياقوم مولانا بهذا الدين أحيانا
وبالطاعات خلانا وكل الخير أولانا

(١) هو حضرة الاستاذ العلامه الشيخ احمد بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد الحلواني (الخليجي بلدا) نسبة إلى رأس الخليج من بلاد الغربية بمركز شربين المتوفى بها في وقفة عرفات سنة ١٣٠٨ وله فيها قبر يزار . (الشافعي مذهباً) كان من كبار العلماء فى عصر الاستاذ الشيخ الامبابى (الخلوتى طريقة) كان من كبار الصوفية أخذ الطريقة الخلوتية الشاذلية عن قطب عصره سيدى عمر بن جعفر الشبراوى شارح ورد سحر المتوفى سنة ١٣٠٤ هجرية المدفون ببلده شبرا زنجى من أعمال المنوفية وله فيها ضريح يزار

فادوا شكر ذا الاحسان

ألا وسلوه خير صلاه لحضرة نجل عبد الله
محمد الرفيع الجاه شفيع المذنب الأواه
منجينا من النيران

عليه ألف ألف صلاه تروى قبره وثراه
وتشمل كل من يهواه فقد شمل الورى بهداه
وقوى الدين بالبرهان

عليه ألف ألف سلام يحيي وجهه البسام
فقد أسدى لنا الانعام وأرشدنا إلى الإسلام
وأرشفنا رحيق الحنان

أبو الإسراء والمعراج سراج الجنة الوهاج
نبي الرحمة الفراج لخطب الكرب مهماهاج
وحامى حومة الميدان

محل الوحى والأحكام مؤيد ملة الإسلام
منور غيهب الأظلام بنور جماله البسام
ونور العلم والقرآن

منار الحق نور العين   إمام أئمة الثقلين
حمى الكونين والدارين   أبو الزهراء والحسنين
نبيّ الأنبيا السلطان
فسحقاً لامرئ هجره   وخالف بعض ما أمره
فذا في زمرة الفجرة   له النيران مستعره
يقاسي الويل والأحزان
وبشرى للذي تبعه   وطاوع كلما شرعه
فذا في روضة ينعه   له الجنات متسعه
يناغي الحور والولدان
ويصحب ثمّ إخوانا   وساداتٍ علوا شانا
وينظر وجه مولانا   ويلقى منه رضوانا
فيا طرباً بذا الرضوان
الا هيا ألا ياقوم   ألا انبعثوا وجافوا النوم
وسوموا الوصل أغلى سوم   وسيروا مثل سير القوم
عسى أن تلحقوا الركبان
عسى أن تبلغوا المقصود   برؤية حضرة المعبود

ووجه المصطفى المسعود   بروض نعيمه المشهود
مع الأحباب والخلان
فيا أحبابنا جدوا   الى أن يحصل القصد
هناك العز والسعد   هناك المبتغي يبدو
هناك تواردُ الأحسان
ألا أنبيكم ياقوم   إذا حُمتم أشدّ الحوم
على أسباب فوز القوم   صلاةِ الليل ثم الصوم
وذكرِ الله بالأذعان
وحفظِ العهدِ والآداب   ومحوِ الكبرِ والاعجاب
وحسنِ الظن بالأصحاب   وتركِ الفاحشِ العيّاب
وترك الأثم والعدوان
وأن تنقاد للأستاذ   وتكرم من به قد لاذ
وتعطي لا تكن أخّاذ   عساك تُعاذُ فيمن عاذ
وتحظى بالصفا في الحان
وأن تعفو لمن أذنب   وأن تصفو لمن تصحب
وان ترضى ولا تغضب   وتحتمل الأذى الاصعب

وأن لاتؤذي الاخوان

ألا ياصاح ألا ياصاح   هم الإخوان كالارواح
فكن دوماً لهم نصّاح   وفيهم دع كلام اللاح
وعاشرهم على ماكان

ولا تقل الجفا أسلم   ومن ذا ياأخي يسلم
وهل هو وحده أجرم   لعلك ياأخي أظلم
وأنت بدأت بالطغيان

أتهجُره وقد خدمك   وسابق جوده كرمك
فرضنا أنه ظلمك   أليس العفو قد لزمك
بنص الشرع والقرآن

ألا ياصاح ألا ياصاح   تنبه كي تسمى الصاح
وسامح فالسماح رَباح   ودع عنك الذي قدراح
وهب أن قدولدت الآن

فمن يعفو له يعفى   ومن يجفو فذا يجفى
فأخلص ودّك الأصفى   وسل من ربك اللطفا
لكل فتى من الاخوان

فيارب وديانى   أغث باللطف إخوانى
وجد لجميع أخدانى   ومنشيه (الحلوانى)
بخاتمة على الإيمان

بجاه المصطفى العربى   أصيل الجد والحسب
حبيب الله خير نبى   غياث الخلق فى الكرب
وصل عليه يارحمن

الكرامات

قد كنت أريد ألا أذكر شيئاً من كرامات سيدى الأستاذ اكتفاء بأعماله وصدقه مع الله تعالى وجهاده وإكرام الله له سبحانه وتعالى وهداية الأمم على يديه حتى أصبح يقدّر من تاب على يديه بالملايين ولا تزال دعوته تنتشر وطريقه زاهر بالعمل. واكتفاء بما يظهر على أولاده وأتباعه من الفتح والعلوم والاستقامة والحب المعظم لله ورسوله والتحابّ فى الله من غير علة. والقيام بالأمر

بالمعروف والنهى عن المنكر ولكن أشار علىّ بعض
إخواني أن أذكر شيئاً مما أعرفه من كرامات سيدى
الأستاذ دلالة على عطاء الله سبحانه وتعالى وشكراً
للمنعم سبحانه وتعالى فأجبت الأمر وأذكر طرفاً قليلا جداً
مما كنا نراه فلا تحصر له الكرامات الظاهرة ولا الباطنة .
على أن سيدى الأستاذ رضى الله عنه كان من أكبر
الأقطاب فى الولاية وكان له قدرة كبيرة على تكتم حاله
فكان لايظهر ولا يتظاهر بالكرامات . فمن كراماته رضى
الله عنه أن رجلاً قبطياً من القاهرة سمع به وكان عنده ولد
شاب خرس لسانه مدّة من السنين الطويلة وكلما ذهب
إلى طبيب ليداويه فلا يجد له دواء حتى أعيته الحيل فجاء
ألى سيدي الأستاذ بولده باكياً فقال له سيدى ولدك قد
طاب من الآن وجاء بمنديل وضعه على جبهته وعضه فيها
وقال له خذ ولدك واذهب به فقد شفاه الله فقام الولد مع
أبيه يتكلم ويكاد الرجل يجن من الفرح . وعلى ذكر هذه
الكرامة * حدّثنى أخى فى الله الحاج محمد اسماعيل مراد

التاجر بدسوق ومن المأذونين بأخذ العهد أنه كان مع وكيل
النيابه ومأمور المركز مرة وجاءت مناسبة لذكر سيدى
الأستاذ وكان بالمجلس كاتب قبطى من كتّاب النيابة فقال
أتذكرون الشيخ أبا خليل المقيم بالزقازيق فقالوا له نعم فقال
هذا الرجل يصح أن يقال عنه أنه نبيّ فقالوا له لماذا فقال
لأنه كان لى ابن صهر طالب بمدرسة الطب أصابه شلل
انتهى بفقد النطق منه واستمر مدّة من السنين حتى كلت
حيلتنا فيه ويئسنا منه وسكتنا عنه بعد العجز مع توفر
الدواء ولكن بينما كنت بنيابة الزقازيق إذ ورد لى تلغراف
من صهرى والد المريض يخبرني فيه أنه حاضر اليوم عندى
ولما حضر قال لى أريد أن أتوجه إلى الشيخ أبي خليل
بكفر النحال قال فتعجبت جداً فى نفسى ولكن
دعتنى الحالة إلى الامتثال شفقة على صهرى قال فذهبنا
جميعاً إلى الشيخ وحكى له صهرى ماهو حاصل لابنه
وطلب منه الدعاء قال فقال له الشيخ إن ولدك قد طاب
قال فاستغربت وقت مع صهرى على عادتى غير مصدّق

بشیء فلم نصل إلى المنزل حتى تكلم فدهشنا قال وهو قبطى أليس من يفعل ذلك يكون نبياً

ومن كراماته أيضاً ان ولده السيد محمد أبو خليل الكبير مرض فى احدى رجليه وكان يذهب إلى الأطباء للتداوى حتى صرف على شفائها وقتاً كبيراً فاستمر على هذا الأمر مدة طويلة ولا يمكن شفاؤها . ولقد رأيته حضر عندنا رأس الخليج لزيارة والده وقد جاء يشكو من كثرة العلاج عند الأطباء وبينما نحن نأكل مع سيدى الأستاذ أعطى له سيدى الأستاذ لقمة وقال له كل هذه لتشفى رجلك واتبعه بثانية وثالثة فقام بعد ذلك ولم يمض يومان إلا وقد ذهب المرض ولم يبق له أثر

ومن كراماته رضى الله عنه أنه ذهب إلى ناحية المعصرة جهة حلوان وكان يزوره الشيخ محمود الشيخ المأذون أحد الواصلين عليه من البر الثانى وكان له المعدية التى تنقل الناس من المعصرة إلى البر الثانى ولها مرساة من خشب كلفها نحو المائة جنيه ترسو عليها المركب

فجاءت اللصوص وتقلوها ووضعوا فيها المثقلات لترسب فى قاع البحر ليعودوا فى وقت آخر فيأخذوها . فلما جاء الشيخ محمود ولم يجدها حضر لسيدى الأستاذ متكدراً من ضياع هذه المرساة فقال له سيدى لاتحزن وتوجه إلى مكان كذا وقس قصبات كذا وانزل فى البحر تجدها هناك ففعل فوجد المرساة وعاد مع من معه فى شدة الفرح واهتدى بسبب ذلك أناس كثيرون أخذ عليهم العهد سيدى الأستاذ

ومنها أن عبد الحميد افندى عزت أحد سواق الوابورات بالسكة الحديد المصرية من أتباعه حصل له أمر وهو سائر بالوابور أذهله عن القيام بشأن الوابور حتى تعطل ووقف من غير سبب فتنبه الاوسطى وهو مرتبك وكان قد فرّط فى واجبات شرعية فنادى شيخنا وقال له ياعم أنجدني وهو مذهول فرأى أن يداً تحرك آلة النفس والوابور قد تحرك ففطن الأوسطى وقام وأصلح أمره واستأنف السير ولاحظ الوابور حتى وصل إلى آخر محطة

الوصول وهناك أصلح الوابور وذهب لسيدى ولم يخبره
بهذه الحادثة فقال له سيدى كيف حالك لقد أحضرت لك
الوابور بعد ضياعه فاستغرب الأوسطى واندهش وعلم أن
اليد يد سيدى الأستاذ وأخبره بالقصة

ومنها أننا كنا نزور سيدى الأستاذ فى كفر النحال
عقب العيد وكان معنا الأستاذ الشيخ محمد البكرى فلما
جلسنا مع سيدى الأستاذ حادثه سيدى وقال له ماقولك
إذا قال لك رجلٌ عظّم الله أجرك فقال نقول شكر الله
سعيك وبعد ذلك بنصف ساعة حضر له رسالة برقية بأن
والدته قد توفيت فاستأذن في السفر وسافر وقال له الحاضرون
كلهم عظم الله أجرك

ومنها أنه كان مسافراً مع أتباعه إلى ناحية عمروس فى سفينة
من كفر الزيات وكان فى زمن النيل والسفينة مقابلة لانحدار
الماء ولاهواء يسيرها ولا يمكن أن تذهب السفينة على هذا
الحال إلا فى مسافة تِسْع ساعات كما قرر الملاحون. فبينماهم
سائرون إذ تغلب التيار على الملاحين ولعب بها فلم

يمكن تسييرها حسب إرادة الراكبين وأصبحوا على
شفا الغرق فهاج الراكبون وخافوا الغرق فقال لهم سيدى
اجلسوا واذكروا الله وسار يذكر بهم وقال للبحر اسكن
ما أنت إلا بحيرة فسكن البحر وسارت السفينة في محل
الأمان وعندها نادى الهواء وقال ياهوى بالإمالة فجاء
الهواء وسارت السفينة حتى وصلت فى مسافة أربع ساعات
حتى اندهش الجميع وكان فِي السفينة من لايصدّق
بالكرامات فأذعن وسارت هذه الكرامة مشهورة

ونداؤه للهواء ليذهب ويأتى كان كثيراً فى جملة
مواطن شاهده فيها الناس كثيرون كأن الهواء كان تحت
تصرفه . ففى مرة كنا فى الزقازيق فى مولد المصطفى صلى
الله عليه وسلم الذى كان يقيمه فى كل عام المتقدم ذكره
وكنا فى زمن الشتاء فقام الهواء حتى كاد يقطع حبال
الصيوان المنصوب فقال بأعلى صوته اسكن أيها الهواء
فسكن فى الحال وقد كان ذلك فِي جم غفير من الناس سمعوه
وشاهدوا ماحصل واشرأبت أعناقهم نحو سيدى وقال له

رجل ياسيدى كأنما أنت قبضت على يد حنفية تصب فأوقفتها مرة واحدة

ومنها أنه وهو عائد من بلدة بسلامون القماش على محطتها رأوا بائعاً يبيع برتقالاً واشتروا منه المد بسعر معلوم وصاروا يأخذون يفرقون على أنفسهم ويعطون لسيدي الأستاذ والبائع حافظ العدد في نفسه الذي يحاسب عليه الناس فقال بعض الحاضرين لقد أخذنا نحو السبعين برتقالة ياسيدى فقال سيدى لا لأن كل مامع البائع سبعة عدود فقط من غير مايراه فسألوا البائع خلف انه لم يكن معه غير هذا العدد أى خمسة وثلاثين برتقالة

ومنها رضي الله عنه ان حضرة احمد افندى فهيم المعاون بمديرية الدقهلية الآن كان في رأسه صلعة ظاهرة فى جانب جبهته وجاء يستأذن سيدى فى الذهاب الى طبيب يداويها فتفل عليها سيدى ومسها بيده وقال له هاهى قد طابت فاستغرب فهيم افندى ولم يقم في آخر الجلسة إلا وقد ذهبت ووجد أثرها على جانب يد سيدى مما يلى

الإبهام فزاد استغرابه لأنه تحمل المرض ونقله إليه

ومنها أنه كان ينادى أولاده في البلاد البعيدة فيأتون إليه من ذلك أنه كان جالساً مع الشيخ عطية الشاويش من الزقازيق وهو أخو على افندى خليل الموظف بديوان المساحة وهو من خلفاء سيدى فقال له الشيخ عطيه من زمن لم نر أخى على فقال له هاهو الآن فى مصر أهل تريد أن أنادى لك عليه فقال نعم فناداه وهو سائر فى الشارع وقال ياعلى افندى بصوت رفيع منخفض فسمعه على افندي من غير أن يراه والتفت لينظر من المنادى فقال له سيدى هاهو التفت لينظر من يناديه .. فكتب الشيخ عطيه لأخيه يسأله عن الحكاية فأجابه كما وقع فتحقق الشيخ عطيه كلام الأستاذ

ومنها أنى ذهبت لزيارته فمكثت عنده ثلاثة أيام وأردت الاستئذان للسفر وكانت أعمالي تسمح لى بالمكث معه أكثر من ذلك فقال لأى شيء تريد السفر قلت لأرى المنزل وأطمئن على من فيه فنظر وقال فى المنزل كذا

وكذا ويعملون كذا وكذا من أحوال البيت . فلما عُدت وجدت الحال كما أخبرني سيدي بالضبط

ومنها أن خادمه الشيخ محمد العتر كان قد ذهب إليه شوقاً في أول مرة فترك أهله ووالده وأقام عند سيدي ناوياً في خدمته وكان والده يذهب لاستحضاره فلا يمكنه أن يأتي به وأخيراً اجترأ على أن يكلم سيدي في شأنه فقال له سيدي إننا لا نحجزه لدينا ولكنك قد قلت فينا كذا وكذا في الأماكن الفلانية مع أشخاص صفتهم كذا وكذا وصار يعدد له ما كان يقوله سراً مع الناس مما لا يعلمه أحد ووصف له الأماكن والحجر التي كان فيها حتى دهش وكان لم يسلك الطريق فسلكه على يد سيدي وترك ولده وأصبح من المحبين المخلصين للشيخ واتفق سيدي معه على أن يجعل لابنه أجرة كل شهر قرش صاغ يدفعه له . وكان الشيخ أحمد العتر في عسر ففرج الله عليه من ذلك الوقت وعلم أن هذا الأجر جزيل جداً

ومنها أنه لما أذن لي بأخذ العهود له على الناس طلب

لي أجازة رسمية من مشيخة السادة البيومية حسب المقرر في إدارتها ومشهور اسمي بين الناس (عبد السلام) فلما وردت لي وجدتها باسم احمد عبد السلام فتعجبت حيث هذا اسمي الأصلي والمثبت احمد فقط بدفاتر الميلاد . وكان والدي سماني احمد عبد السلام ويناديني بالثاني في الغالب غير أن جميع الأسرة كانت تناديني احمد الراضي لأن المرحوم الأستاذ العلامة الشيخ محمد النشار الشربيني من أصحاب والدي ومعاصريه كان قد أسماني بذلك في صغري واستمر هذا الاسم حتى حفظت القرآن . وبعد ذلك كان والدي يناديني في الغالب بعبد السلام واشتهر هذا الاسم حتى أصبح هو العَلَم ولا يعلم بالاسم الأول (احمد) إلا النادر من أفراد الأسرة وكان والدي في صغري يقول لي قد أسميتك أحمد على إسمي وإسم جدك لتسمي أنت كذلك ولدك باسمي (١) وتوصيه أن يسمي كذلك ويوصي بذلك

---

(١) لما ولد لي أول ولد ذكر أسميته محمود عبد المنعم لأمرين . الاول ليكون سمي والده الشيخ محمود الحلواني تبركا به

ليكون إسم احمد مسلسلاً في ذريتي تبركا باسم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت هذه في مذكرتي دائماً . فلما وردت الاجازة باسم أحمد ولم يكن سيدي الأستاذ يعلم بذلك من قبل عرفت أن هذا من قبيل الكشف وأنه يذكرني بعهدي مع والدي رضي الله عنهما

ومنها أننا ذهبنا في السياحة إلى قرية صغيرة بجوار دسونس بالبحيرة تسمى (صفر) وكان لسيدى الأستاذ

لانى أحبه فوق حب الاخوة العصبية محبة الاخوة فى الله واعتقادى فيه لانه من صغره كان مباركا ومتوجها بقلبه للعلم وطلبه وانتفع انتفاعاً عظيما بمتابعته لشيخنا رضى الله عنه فزاد حبي له لانه نشأ على عبادة ربه . والثانى ليكون سمى المصطفى وقد سمعت والدى يقول أفضل الاسماء ماحمد وما عبد فاقتديت به وبعد أن أسميته وأرخ ميلاده أخى فى الله الاستاذ العلامة الشيخ محمد المأمون الشناوى القاضى بالمحكمة الشرعية الان إذ قال فى تاريخه (سعد السعود لوضع محمود بدا) أذن الله أن يكون اسمه أحمد تحقيقاً لكلام جده فقد قيد بدفاتر الميلاد باسم احمد عبد المنعم واستعمل هو اسمه احمد واشتهر بذلك مع أنى أسميت أخاه الذى رزقنى الله به بعده أحمد فاشتهر أحمد عبد المنعم بالاسم الثانى واشتهر أخوه باسمه أحمد بارك الله فيهما وجعلهما من أهل الذكر واليقين إلى يوم الدين

فيها أتباع دعوه فيها وكنا لم نذهب لها من قبل فلما وصلنا لم نجد استعداداً في المحلات التي بها للراحة سوى خيمة ومحل صغير للاستقبال فتحيرت لأنى لم أجد محلا يستريح فيه سيدى الأستاذ فأخذت إخواني ومكثنا فى الخيمة وكان وقت الظهيرة وتركنا سيدى الأستاذ فى محل الاستقبال مع خادمه عسى أن يستريح . فقام سيدى وتوضأ ومكث يذكر الله إلى الليل : ولما غربت الشمس وجدنا الخيمة قد امتلأت بالبعوض امتلاءً شديداً حتى لم يطق أحد المكوث فى الخيمة فخرجنا فراراً منه إلى الفضاء . فلما جاء وقت الذكر وقفت متحيراً كثيراً كيف نجلس وكيف نذكر وكيف يكون سيدى معنا على هذا الحال وبينما أنا أفكر اذ حضر سيدي فى الخيمة فقال لى ماذا تصنع يافلان فقلت ياسيدي إن البعوض كثر جداً ولا يوجد محل غير هذا نذكر فيه . واخواننا خرجوا يطلبون الخلاص منه فتبسم وقال لاخوف فأن البعوض يذهب حالاً من هنا وأمرنا أن نبدأ بافتتاح الذكر فافتتحنا الذكر

وعندها لم نجد للبعوض أثراً وكانت ليلة فيها تجليات عظيمة جداً لم أعهدها من قبل وعقب انتهاء السهرة قمنا للراحة فى أماكن أعدّت لذلك فبمجرّد قيامنا أتى البعوض كأنما كان ينتظر قيام سيدى الأستاذ ويعود .. ولما ذهب سيدي للمحل المعد لنومه وراحته وجد على حيطانه شيئاً كثيراً من الذباب فقال لخادمه قل له يذهب حتى ننام فقام خادمه وأذهبه فكان يخرج من باب المكان كأنما كان مسجوناً وفتح له باب السجن وانصرف كله بحالة غريبة كأنه يتبع نظاماً خاصاً في الانصراف من منفذ واحد مع أن العادة جرت أنه لايخرج من النور الى الظلام الذي كان خارج الحجرة

هذا ولو أردنا أن نعدد الكرامات لطال بنا المقام وما أتيت على ماقدمته إلا بياناً فقط وعنواناً وإلا فهو رضى الله عنه أكبر من ذلك مع الله سبحانه وتعالى

وهذا ما أمكن إيراده فى هذا الباب خوف الاطالة ونسأله أن يرزقنا حسن الادب معه ويهدينا الى الطريق المستقيم

الباب الثانى

فى فضل الذكر وأوراد الطريق

سلسلة رجال الطريق

كان شيخنا رضى الله عنه يتعبد على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وقد سلك طريق السادة الصوفية على طريق سيدى على البيومى رضى الله عنه فقد أخذ العهد والتلقين عن سيدى الشيخ شناوى يوسف السابق ذكره وهو أخذ عن سيدى الشيخ سيد السنباوى وهو أخذ عن سيدى الشيخ على أبو كيله وهو أخذ عن سيدى الشيخ عبده الصغير وهو أخذ عن سيدى الشيخ محمد الصغير وهو أخذ عن سيدى الشيخ يوسف الوقاد وهو أخذ عن سيدى الشيخ بدوى المنجد وهو أخذ عن صاحب المدد العالى العالم العلامة مربى المريدين . ومرشد السالكين . شيخ الشريعة والطريقة . ومعدن السلوك والحقيقة .

فريد عصره . ووحيد دهره . ذو الكرامات الظاهرة .
وأسرار العلوم الباهرة . سيدى الشيخ على نور الدين
البيومى الشافعى مذهباً الأحمدى طريقة الحلبي الشناوى
الدمرداشى الخلوتى النقشبندى الشاذلى طريقة المتوفى سنة
١١٨٣ هجرية وهو أخذ العهد الموصل لسيدى أحمد البدوى
عن الشيخ عبد الرحمن الحلبى عن والده الشيخ عبد الرحمن
عن الشيخ شهاب الدين أحمد السبعى عن العلامة الشيخ
شحاذة بن على العراقى عن الشيخ أحمد الشرمخي عن
الشيخ ابراهيم الجبالى عن الشيخ أحمد المنير عن الشيخ
محمد الشناوى عن الشيخ ابراهيم الجبرتي عن الشيخ شمس
الدين الخضرى عن الشيخ عبد الله السنجيدى المقيم بالمقام
الأحمدى عن الشيخ عبد الله الشناوى عن الشيخ عمر
المناوى عن الشيخ جمال الدين السيوطى عن سيدي عبد
الوهاب الجوهرى عن شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى شيخ
مصر والشام والروم والعراق وسائر الممالك الإسلامية
سيدى أحمد البدوى القطب النبوى الشريف العلوي عن

شيخ مشايخ الغرب الشيخ عبد الجليل بواسطة أخيه بدر
الدين حسن الأنور عن الشيخ عبد الجليل عن الشيخ عبد
الحميد عن الشيخ نور الدين عن الشيخ أبى الحسن عن
الشيخ زين الدين عن الشيخ عبد الرزاق الأندلسى عن
الشيخ عبد القدوس عن الشيخ شمس الدين المغربى الفاسى
عن الشيخ أحمد النواوى عن الشيخ حبيب العجمي عن
الإمام الحسن البصرى عن الشيخ عمران بن الحصين
عن الإمام رُبَيعة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
أنس بن مالك رضى الله عنه عن سيدنا ونبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وهو سيد المرسلين وإمام المتقين صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

أوراد الطريق

أمرنا رضى الله عنه بالذكر دائماً ومنع من اتخاذ
الأحزاب الأخرى أوراداً للسالك بل حث على الذكر
وعدم الغفلة وعلى جهاد النفس وخلو القلب من مشاغل

الدنيا والاستمرار على الطاعة عملا بما ورد (أفضل الأعمال أدْوَمُها وإنْ قلَّ) وبما ورد أيضاً (أحبُّ الاعمال إلى الله أنْ تموتَ ولسانُكَ رطبٌ بذكر الله)

وخصص رضى الله عنه الذكر بالأسماء الآتية وأن تكون هى الورد الدائم بالليل والنهار عملا بعموم قوله تعالى (فَإذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فاذكُرُوا اللهَ قِياماً وَقُعوداً وَعلى جُنوبِكمْ) وأن يذكر كل اسم مائة ألف مرَّة على الترتيب بحيث يذكر لا إله إلا الله مائة ألف مرة ثم ينتقل إلى ذكر الاسم (الله) مائة ألف مرة ثم مابعدهما مائة ألف مرة وهكذا اسما بعد اسم حتى ينتهى من ذكر الأسماء فاذا انتهى عاد إليها مرة ثانية على الترتيب المذكور وهكذا دائماً أبداً ولا يحسب العدد إلا ليلاً

واشترط رضى الله عنه ملاحظة معانى الأسماء حسب ما لقنها وأكد ذلك لأنها توجب خلوة القلب بالمذكور سبحانه وتعالى وتورث التفكير به فتنتفع الروح بأسرار الأسماء وتتداوى بخواصها وتستشعر بعظمة الخالق

الأكبر من معانيها . وقد ورد فى الحديث (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) أى بلا تفكر

(وها هي الاسماء ومعانيها)

لا إله إلا الله	ومعناها	لامعبود بحق إلا الله
الله	ومعناه	علم على الذات العلية
هو	«	حاضر لايغيب
حى	«	دائم الحياة
واحد	«	لاثانى له
عزيز	«	لانظير له
ودود	«	كثير الود لعباده
حق	«	ثابت لايزول
قهار	«	الذى يَقهر ولا يُقهر
قيوم	«	قائم بأسباب مخلوقاته
وهاب	«	كثير العطاء
مهيمن	«	مطلع على أفعال مخلوقاته
باسط	«	يبسط الرزق لعباده

وقد قيل لنا أنه رضى الله عنه ذكر جميع الأسماء فوجد فى هذه الثلاثة عشر فتحاً لأرواح المبتدئين يتدرج بهم إلى معرفة جلال الله وقهره فيخشونه . ولذا فإنه رضى الله عنه أعطى إذناً عاماً بذكره تعالى بالعدد المارو بالترتيب المذكور لجميع من سلك طريقه وجعلها وردهم فلا ورد لهم خاص غير الذكر

وكان بعض السالكين يطلب منه أن يأذنه بذكر اسمه تعالى (اللطيف) ومعناه مصور الشيء فى قالب ضده فكان يأذنه ولكن كان ذلك بعد أن يرى استعداده لتحمل خواص الأسماء وأسرارها بعد أن يذكر الاسماء المارة أدواراً كثيرة فلا ينبغى لأحد ذكره بدون اذن

ولقد كنا نرى الخير فى اتباع مايأمر به رضى الله عنه بدون طلب فربما كان الطلب لغاية النفس . وغاية النفس من دواعي الحجاب

ولا بد عند البدء فى الذكر من قراءة الفاتحة لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولآله وصحبه ثم لرجال السلسلة

ثم لسيدى أحمد البدوى ثم لسيدى على البيومي ثم لأستاذنا رضى الله عنه كما نقرؤها مع ذلك لشيخنا خليفته من بعده نجله سيدى الشيخ ابراهيم أبو خليل رضى الله عنه

وفى هذا المقام أى عند البدء فى الذكر يندب للذاكر أن يستحضر النبي صلى الله عليه وسلم بقلبه كأنما يذكر فى حضرته ويطلب الاستمداد منه إذ هو صلى الله عليه وسلم صاحب المدد أى السر والخير الذى هو دائم الفيض على عموم الخلق فليس بمقطوع فى وقت من الأوقات ولا ممنوع عنهم بحجاب . ثم يستحضر شيخه أيضاً بقلبه ليأنس به فى الحضرة . ومعنى ذلك أن الذاكر يعلم أن شيخه يمده بروحه ناظر اليه طالما كان يذكر الله تعالى وأنه بإشراق روحه الطيبة يمنع عن قلبه خواطر السوء وعبث الشياطين . وهذا لا يلزم منه أن يرى الشيخ أو يستحضر شخصه بقلبه تخيلا كما يظن البعض فيشغل نفسه بملاحظة هذا الخيال عن استحضار معنى الذكر المطلوب بل الغرض أن يأنس المريد بأن شيخه مع النبي صلى الله

عليه وسلم فى حضرة المذكور فيتأدب مع الله بحضرتهم ويحصل له الخشوع فإذا اشتغل بالحق ترك نفسه مع الحق وترك رؤية الذكر والذاكر ومحا نفسه فى حضرة المذكور الذي يراك من حيث لاتراه . والذاكر عبد احسان . والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (كما ورد فى الحديث) . ومتى جذبت الروح اليه سبحانه وتعالى فلا رؤية لغيره

وكان رضى الله عنه يحث أتباعه على مداومة الذكر وتعوّد اللسان عليه حتى يصل الى القلب . ومتى وصل الذكر إلى القلب تعلقت الروح به وتلذذت به فتتغذى منه وأيضاً فإن استغراق الوقت في الذكر يوجب تنزل الرحمات ويوجب التعرض للنفحات الرحمانية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ لِلهِ فى دَهرِكم نَفحاتٍ فتعرّضوا لها) وفى خبر آخر تعرضوا لنفحات رحمة الله

وتمسكه رضى الله عنه فى الذكر دون الأوراد وغيرها لما ورد في كتاب الله تعالى من الأوامر المؤكدة

بالذكر وعدم الغفلة وما ورد فى أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل العبادات حتى من الجهاد . وأيضاً فأن الاوراد أدعية واستغاثات بخلاف الذكر فإنه ذكر محض واقرار له بالوحدانية . وقد ورد فى حديث قدسى عن الله تعالى (مَنْ شَغَلهُ ذِكرى عَنْ مَسأَلتِى أعطيتُهُ أفضلَ ما أُعطى السَّائِلينَ)

وقد قال رضى الله عنه إن الذكر أفضل من كل الأوراد المنسوبة لكثير من الأولياء . وقال إنهم لم يصلوا إلا بالذكر وبعدوصولهم عملوا هذه الأوراد. فعلينا أن نسلك السبيل الذى وصلوا به وهو الذكر المحض لا أن نأخذ من فضلاتهم . وإليك بعض ماجاء في فضل الذكر والأمر به في كتاب الله وسنته

آيات الأمر بالذكر

أمر الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين بذكره تعالى كما ورد فى القرآن الحكيم . قال تعالى لزكريا

(وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ)

وقال لموسى (اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ)

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)

وقال تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)

وقال تعالى (فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ)

وقال تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا)

وقال تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ)

وقال تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

وقال تعالى (وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ)

وقال تعالى (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)

وقال تعالى (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)

وقال تعالى (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)

وقال تعالى (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

وقال تعالى (فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ

ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)

فى التحذير

وقال تعالى (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)

وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)

وقال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً)

وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

فى الذاكرين

وقال تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا

أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله)

وقال تعالى (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض)

وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون)

وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

وقال تعالى (وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)

وقال تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) .

وقال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق)

وقال تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً)

وأما الأحاديث النبوية فاليك بعض ماورد

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة . قال الذاكرون الله كثيراً قالوا يارسول الله ومن الغازى فى سبيل الله . قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة

وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل

وقال صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم

إلى سماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم مايقول عبادى فيقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأونى فيقولون لا فيقول كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأشد لك تسبيحاً . قال فيقول فما يسألون فيقولون يسألونك الجنة فيقول هل رأوها فيقولون لا يارب فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا عليها أشد حرصاً وأشد طلباً وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون فيقولون يتعوذون من النار فيقول هل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة . قال فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال فيقول ملك منهم فيهم فلان عبد خطاء ليس منهم إذ مر لحاجة فجلس فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى جليسهم أخرجه الشيخان والترمذى

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اخبركم بخير أعمالكم وأرفعها فى

درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله . قال ذكر الله عز وجل . أخرجه مالك والترمذى

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرنى أو خافنى فى مقام) أخرجه الترمذى

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة من ولد اسماعيل ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة) أخرجه أبو داود

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر

الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة) أخرجه أبو داود والترمذى (والترة هى التبعة)

وعن أبى مسلم الأغر قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) أخرجه مسلم والترمذى

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر فيه مثل الحى والميت) أخرجه الشيخان

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فأن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وإن تقرب

إلىّ شبراً تقربتُ منهُ ذراعاً وإن تقرّب إلى ذراعاً تقرّبتُ منه باعاً وإن آتاني يمشى أتيتُهُ هرولة) أخرجه الشيخان والترمذى

وفى رواية أخرى ولا زال العبد يتقربُ إلىّ بالنوافل حتى أحبه فأذا أحبَبتُهُ كنت سمعه الذى يسمَع به وبصرَه الذى يبصر به ويده التى يَبطِشُ بها ورِجلُه التى يمشى بها

وعن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حَلَقةٍ من أصحابِه فقال ماأجلَسَكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للاسلام ومنّ به علينا قال آلله ماأجلسكُم إلا ذلك قالوا آللهِ ماأجلسنا الا ذلك قال أما إِني لم أستَحلفكم تهمةً لكم ولكنَّه أتانى جبريل فأخبرنى أنَ الله يباهى بكم الملائكة رواه مسلم

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت ياأبا هريرة أن لا يسألنى

عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو نفسه رواه البخارى

وفيما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سَبَقَ المفرّدُونَ قالوا وَما المفرّدون يارسول الله قال الذاكرُونَ الله كَثيراً)

وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لاإله الا الله حصنى فمن دخلَ حصنى أمِنَ عذابى . رواه ابن عساكر عن السيدة عائشة فى الجامع الكبير

وقد ورد فيما رواه الامام أحمد وغيره أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون — أى حتى يقول المنافقون كما فى رواية أو أهل الغفلة عن الذكر فى مكثرة منكم هذا أو فلان مجنون أى كالمجنون المسلوب العقل لكثرة ولوعه وشغفه

وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيدِه أنَّ القرآنَ والذكرَ لَينبتانِ الايمانَ فى القلبِ كما يُنبت الماء

العشب رواه الديلمى

الصلاة على سيدنا محمد

أما الصلاة على حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أمرنا بها بالكيفية الآتية وهى

(اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ما فى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) من غير حصر بل يكثر منها ماشاء الله دائماً ويتأكد أن يصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم بالصيغة الآتية عقب كل صلاة ثلاث مرات وهى

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفاً حرفاً وعدد كل حرف ألفاً ألفاً وعدد صفوف الملائكة صفاً صفاً وعدد كل صف ألفاً ألفاً وعدد الرمال ذرة ذرّة وعدد كل ذرة ألف ألف مرة عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك فى برك وبحرك وسائر خلقك عدد

ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم مثل ذلك

فضائل الصلاة على سيدنا محمد

وفضائل الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً لا تدخل تحت حصر فقد أمرنا الله جلّ شأنه بها رحمة بالمؤمنين فقال سبحانه وتعالى تعليماً للأمة المحمدية (إنّ اللهَ وملائكتهُ يُصلون على النبىّ يا أيُّها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وصلاة الله سبحانه وتعالى ايصاله رحمته بمزيد التعظيم والتكريم كما يليق به من إعلاء شأنه ورفع ذكره وإظهار دينه ببواهر آياته وإبقاء شريعته وانزال تحف النعم عليه وتخصيصه بالمقام المحمود واجزال مثوبته وترقيته فى الأنوار والمعارف والأسرار وتشريف أمته على سائر الأمم

وأى رحمة أكبر من رحمته تعالى لانبىّ صلى الله عليه وسلم وحفظه له ولطفه به فى الدنيا والآخرة قال تعالى (وَلسوفَ يُعطيكَ ربُّكَ فترضى)

وأما الصلاة من الملائكة وغيرهم عليه صلى الله عليه وسلم فهو من قبيل الدعاء ومعناه (اللهم اعطف على سيدنا محمد عطفك الذى يليق بمقامه منك إليه كما هو أهله)

والأمر هنا للمؤمنين بالصلاة على سيدنا محمد لينالوا الثواب لأنهم محتاجون إلى تكفير السيئات ورفع الدرجات وهو صلى الله عليه وسلم واسطتهم العظمى فى كل خير فقياماً بشكره ومكافأة له ينبغي الدعاء له اقتداء بالله سبحانه وتعالى وملائكته وإلا فالله تعالى أغنى الأغنياء ومنه مفاض العطاء. والنبىّ صلى الله عليه وسلم مستغن بصلاة ربه والملائكة عن صلاة غيرهم فتكون نية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم محبة فيه وشوقاً إليه ولأنه يجب علينا شكره وإظهار شرفه وتعظيمه بأى طريق فهو أهل لذلك

على أن المصلى عليه لابد أن ينال ثواباً عظيماً فقد أخرج أنس رضى الله عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر مرات. وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات) أخرجه النسائى

وله في رواية أخرى عن أبى طلحة رضى الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والبشر فى وجهه قلنا إنا نرى البشر في وجهك فقال إنه أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك أن لا يصلى عليك أحد إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً

وعن أبي مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة أخرجه الترمذى. وله عن علىّ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علىّ).

وعن أبي مسعود رضي الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغون أمتي السلام . أخرجه النسائي

وفوق ذلك فأن الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم تجلي القلوب وتزيدها نوراً حتى قيل إنها تغني عن الشيخ في الطريق . لكن قال بعض الصوفية ذلك محمول على مجرد التنوير . وأما الترقي في درجات الولاية فلا بدّ من الأخذ عن شيخ عارف سلك مسالك القوم

صيغة الاستغفار

وأما الاستغفار فهو بأي صيغة كانت وإني استغفرت بهذه الصيغة وقرأتها عليه وهي (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه وأسأله التوبة والمغفرة والنجاة من النار إنه هو التواب الرحيم)

وسمعنا منه هذه الصيغة الآتية ثلاث مرات بعد

الصلاة وهي (أستغفر الله العظيم عدد حروف القرآن حرفاً حرفاً وعدد كل حرف ألفاً ألفاً وعدد صفوف الملائكة صفاً صفاً وعدد كل صف ألفاً ألفاً وعدد الرمال ذرّة ذرّة وعدد كل ذرة ألف ألف مرة عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك في برك وبحرك وسائر خلقك عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه مثل ذلك

وفضل الاستغفار كثير جداً وقد أمرنا به بما ورد في القرآن قال تعالى (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)

وقال تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)

وقال تعالى (وَما كانَ اللهُ مُعذِّبَهم وهم يستغفرون)

وقال تعالى (وَمَنْ يعملْ سُوءًا أو يظلِمْ نفسَه ثم يستغفرِ اللهَ يجدِ اللهَ غفورًا رحيمًا)

وقال صلى الله عليه وسلم مَنْ قال حِينَ يأوِى إلى فراشِهِ أستغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحىّ القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه ولو كانت مِثلَ زَبدِ البحرِ . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يستغفر ربّه كلّ يومٍ مائةَ مرّة

وعن أبى ذرّ رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (يقولُ اللهُ عزّ وجلّ يا ابن آدمَ كلُّكم مُذنِبٌ إلا مَن عافيت فاستغفروني أغفرْ لكم وكلُّكم فقيرٌ إلا من أغنيْتُ فاسألوني أعطِكم وكلُّكم ضالٌّ إلا مَن هديتُه فسلُونى الهُدَى أهدِكم ومَن استغفرني وهو يعلم أنّى ذو قدرةٍ على أنْ أغفر له غفرتُ له ولا أُبالى ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحيّكم وميّتكم ورطبكم ويابسكم

اجتمعوا على أشقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من سلطاني مثلَ جناحِ بعوضةٍ ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحيّكم وميّتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد فى سلطانى مثل جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيّكم وميّتكم ورطبكم ويابسكم سألونى حتى تنتهى مسألة كلّ واحدٍ منهم فأعطيتهم ماسألونى ما نقص ذلك مما عندى كغرز إبرةٍ لو غمسها أحدُكم فى البحر وذلك أنى جوادٌ ماجدٌ . عطائى كلام وعذابى كلام . إنما امرى بشىء إذا أردته أنْ أقول له كن فيكون . رواه مسلم

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهبَ اللهُ تعالى بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم . رواه مسلم

وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول الله تعالى ياابنَ آدمَ إنَّكَ مادَعوتَني ورجوتَني غفرتُ لك على ما كانَ منكَ ولا أبالي . ياابنَ آدمَ لو بلَغتْ ذُنوبُكَ عِنانَ السَّماءِ ثم استَغفَرتَني غفرْتُ لكَ . ياابنَ آدمَ لو أتيتني بملْءِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتُك بقرابها مغفرة . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

هـذا والمراد بالذكر هنا الذكر مع العلم وإقبال القلب وتفرغه عما سواه تعالى لاسيما الأدناس والمعاصي وأما مالا يتجاوز اللسان فرتبة أخرى لأن الفضائل الواردة في الذكر إنما هي لأهل الشرف والكمال في الدين والطهارة من الحرام فلا يظن ظانٌ أن من أدمن على الذكر وأصرَّ على ماشاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أن يلحق بالمطهرين الأقدسين ويبلغ منازل الكاملين بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عملٌ صالحٌ فالعبرة بالاخلاص ومعاملة الحق بالقلب معاملة صادقة

كيفية الذكر

أما كيفية الذكر فكان يأمرنا رضي الله عنه أن نذكر الله تعالى على أي حال في السفر والحضر والاجتماع والانفراد على وضوء أو غير وضوء فلا نتقيد بحالة نذكر عليها حتى لانكسل وإنما الأكمل أن يكون على طهارة فقدورد (الوضوءُ سِلاحُ المؤمن)

وأن يكون ذكره سراً بينه وبين ربه وأقل الذكر أن يسمع نفسه وأكثره دون الجهر قال تعالى (واذكُر رَبكَ في نَفسكَ(١) تَضرُّعاً وخِيفةً وَدُونَ الجهرِ من القولِ بالغدُوِّ والآصال ولا تَكُنْ مِن الغافِلينَ)

وذكر الاسم يكون بسكون آخره فلا ينونه لأن التنوين نون ساكنة تلحق الآخر لفظاً وتفارقه خطاً ووقفاً . وتكرار الاسم مع هذه النون تغير لفظه ولا بد من العدد ولا عبرة بمن قال أُحِدُّ العدد بالوقت فلا أعدُّ

(١) يؤخذ من هذا أن يكون الذكر في نفس الانسان بينه وبين الله تعالى بالقلب مع الانفاس

فان هذا من دواعي الكسل والغفلة . وقد قيل لبعض الأميين من إخواننا أتُعِدُّ على الله فقال إنما أعد على نفسى لأحاسبها على التقصير

مجالس الذكر وكيفيتها

أما مجالس الذكر التى تقام بين يديه وفى الحضرات فكانت تفتتح بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكنا نقرأ دلائل الخيرات وبردة الامام البوصيرى وكان يُقرئنا عليهما والتوسل الذى فى دلائل الخيرات وكان يسكت عنه وكنا نذكر مجتمعين صفوفاً معتدلة يذكر بنا أحد الاخوان ليكون إماماً للجماعة فتلاحظ حركاته فيكون الكل على حركة واحدة بلفظ واحد وصوت واحد فى آن واحد ونفس واحد وروح واحدة والكل مسبّل عينيه ليكون أدعى الى استحضار معنى الذكر بقلبه فتكون الجماعة مجتمعة قلوبهم على قلب رجل واحد خاشعين لله

ملاحظين المذكور ولا تزال على ذلك إلى ماشاء الله تعالى ان شاء الله . وكان يبيح التمايل يميناً وشمالاً (١) لأنه يوقظ قلب الذاكر ويبعد الكسل ويزيد فى النشاط وكان يحذر من اخراج التمايل عن حده المباح وكان يكره المجلس الذى يرى خروج التمايل فيه الى التكسر والرقص واللحن فى الأسماء ويغضب لذلك ويقول إنه حرام قطعاً (٢) بل ربما دخل على من يفعل ذلك من غير أتباعه وأبطلهم

---

(١) أورد الاستاذ القطب سيدى عمر بن جعفر الشبراوى فى شرحه على ورد سحر رداً على من أنكر على القوم فى التمايل الذين قالوا لم يرد بهذا نص وقالوا إنما ورد الحث على ذكر الله من غير تمايل . قال إن الحافظ أبي نعيم روى عن الفضل بن عياض قال أنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يميناً وشمالاً كما تتمايل الشجرة فى الريح العاصف الى قدام ثم ترجع الى وراء

وقد أورد الاستاذ الشهاب الحلوانى فى كتاب النبذه السنية فى طريق الخلوتية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن كخامة الزرع تفيؤها الريح مرة هنا ومرة هنا رواه البخارى

(٢) من غلب عليه الحال والجذب وخرج عن حالة الجماعة

الذكر إن لم يذكروا ذكراً يوافق الشرع

والتمايل مع حركة الركوع إظهار للخشوع كالركوع فى الصلاة والاعتدال منه متكرراً فاذا كان على القدم كان مع الاهتزاز وإيماءُ الرأس تذللاً فكان يبتدئ بالذكر جلوساً برهة ثم يقومون فيذكرون الله قياماً وكان يبتدئ بذكر لا إله إلا الله من جهة اليمين لأن النفس الأمارة فيها والقلب في جهة اليسار وهو محل الأنوار والأسرار فيجعل اسم الذات عليه ليتلقى أنواره وأسراره وأن يمد ألِفَ (لا) متوسطاً أقله حركتان ويحقق الهمزة من (إله) فلا يجعلها ياءً ويفتح الهاء منه فتحة خفيفة بلا مدّ

لا لوم عليه لكن من رأى فى نفسه سروراً ونشاطاً حال الذكر غير العادة وهو فى حالة الصحو عن حركة الجماعة وهاج وقد ظن فى نفسه أن هذا حال فانه يقع فى المهالك ويكتنفه الحجب وتمقته الملائكة ويذهب نوره . وقد نقل عن بعض العارفين أنه رأى بعض المريدين وهو فى حالة سروره وهيجانه فقال له أنت فى الحضرة أو خارج عنها فان كنت خارجها فما حصلت على شيء وان كنت داخلها فأين الأدب فقال له أتوب وتاب اهـ

ويمدّ ألف (الله) التى قبل الهاء مداً طبيعياً ولا يحذفها خلافاً لمن جوزه . وقد كان رضى الله عنه يؤكد بعدم حذف هذه الألف وفى الحقيقة انها لم تسمع فى قراءة القرآن مطلقاً ولا يحذف الهاء منه كما يقع من بعض جهال الذاكرين ويقف عليها بالسكون فإن ذكر الاسم (الله) حقق الهمزة وسكن هاءه حتى لا يكون قد نطق (هلاّ هلاّ) وهو حرام وكذا يحقق حروف كل اسم ويسكن آخره

قال بعض الصوفية ينبغى تقدير ياء النداء عند ذكر الاسم لكن الأولى عدم التقدير لأن تقدير ياء النداء تجعل الذكر استغاثة والمقصود أن يكون الذكر ذكراً محضاً خالصاً لوجهه الكريم . قال تعالى (واذكر اسمَ ربّكَ بُكرةً وأصِيلا) فالذكر هو تلاوة الاسم كما ذكره ابن عباس وتذكير القلب به والتفكر فى معانى الأسماء . ولذا كان سكون الاسم فى كل مرّة مع التكرار دليلا على ذكر الاسم مفرداً (وفى هذا معنى إفراده سبحانه وتعالى بالقلب

وسكونه إليه) ولو كان الذكر جملة كما يقول بعضهم فيكون الاسم مبتدأ والمعنى خبره أو يكون الاسم المنطوق به خبر المبتدأ تقديره فى القلب الله كما تقول (الله حى) أو (الله قيوم) فيكون المقدّر فى القلب الله وأما فى اسم الذات العلية يكون المبتدا مقدراً بالقلب اسم الذات والمذكور (الله) لكن الاعتبار بأن الذكر إنما هو ذكر الاسم ذكراً محضا من غير جملة أولى قال تعالى (واذكر اسمَ ربّك) وقال تعالى (سَبّح اسمَ ربكَ) وقال تعالى (وذكرَ اسمَ رَبهِ فصلّى) فالمراد من الذكر أن يكون (الله) هو شغل القلب (١)

هذا وكانت الصفوف تكون كصفوف الصلاة ومن سره رضى الله عنه أن الذكر كان على هذا الاجتماع مع

---

(١) قال بعض الصوفية أقام رجل على السطح يقرأ الاوراد بالليل فبينما هو كذلك واذا بطائر قد نزل عليه فتأمله فوجده رجل من أهل الله فقال له بما نلت هذه المرتبة فقال بذكر الله تعالى نحن أهل لا إله إلا الله نقولها بعزم وإخلاص وما أنتم يا أهل الاوراد الا كمن يطلب ابنة الملك وليس أهلا لها

ملاحظة المذكور يورث الأنس الروحى الذاكرين فيستمرون هائمين لايريدون أن يقطعوا الذكر. وكان الذاكر بهم إذا رآهم سقوا من الاسم الأول تقلهم إلى حركة ثانية فى اسم ثان ليذوقوا شرابه ولأجل أن تهدأ حركتهم فينشطون فى الثانى وهكذا حتى يختم بهم المجلس وهم فى حالة لايملون منها ولا يتعبون ترى عليهم جلال الذكر وجمال العبادة نورهم بين أيديهم ثم يختمون بالدعاء والفاتحة والصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم وكنت تراهم عند مايجلسون يشتغلون بالذكر على المسبحة (١) لشدة تعلقهم بالذكر وحبهم فى الاستمرار عليه فتراهم خاشعين يذكرون

وأذكر أن بعض الناس من ذوى الوجاهة أراد أن ينظر تلاميذ سيدى الأستاذ فى مجالسهم فدخل عليهم وهم جالسون يذكرون على المسبحة لايلوون على أحد فأخذته

---

(١) قد قال أهل الطريق ينبغى إذا جلس القوم بعد أداء مجلس الذكر أن يشتغلوا بالذكر القلبي او على المسبحة ولا يذهبون نور الذكر بكثرة الكلام واللغط فأن هذا ممقوت ويحبط العمل

الرهبة وخافهم ولم يطق الصبر على مجالستهم وخرج خائفاً يقول ماخوفنى ولا أرهبنى أكثر من هذا المجلس وهذا كله من سطوة الذكر ونوره

وكان رضى الله عنه يبيح الانشاد على مجالس الذكر بشرط أن لايكون للتغنى ولا للطرب وإنما يكون على حركة الذاكرين وقلبُ المنشد معلقٌ بالذكر وكلامه لايخرج عن التوحيد ومدح النبيّ صلى الله عليه وسلم أو النصائح وكان النشيد فى حضرته إلهاماً وفي غير ذلك اما الهاماً أومن كلام أهل التصوف بماينا سب المقام

اسرار الذكر ومقامات السالكين

من أسرار الذكر أن الذاكرين يتدرّجون فى مقامات السلوك والأدب فتراهم يجاهدن نفوسهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر يارسول الله قال جهاد النفس) فتراهم متى صار العبد فى طريق العمل

لله وأخلص نيته يجاهد نفسه الأمارة بالسوء فتؤامره ويراجعها حتى يرحمها الله سبحانه وتعالى بالهداية قال تعالى (إِنَّ النَّفسَ لَأَمارَةٌ بالسُّوءِ إلاّ مارَحِم رَبّى) فأذا اهتدت أصبحت لوّامة تلوم نفسها على ما مضى وتثوب الى رشدها تطلب الغفران من الذنوب وتبوء الى الله تعالى بنعمة الأسلام والأيمان فيرى الذاكر فى نفسه أنه كثير الذنوب فيندم ويتذلل الى الله تعالى ويطلب العفو . وفى هذا الحال يدفع خواطر السوء بتأنيب النفس ويذكرها بالذنب فتصفو له الحال قال تعالى (لاَ أُقسِمُ بيومِ القِيامَةِ ولا أُقسِمُ بالنفسِ اللوّامَةِ)وفى هذا مايدل على أن النفس اللوّامة لها منزلة عند الله عظيمة ومتى صدق العزم وأصبحت النفس روحاً طيبة ألهمها الله تعالى طريق الخير وطريق الشر فتعرف التقوى من الفجور فتقوى على العبادة وتبتعد عن المعصية قال تعالى (فألهَمَهَا فُجورَهَا وتَقوَاهَا) فتعرف الحق من الباطل بطريق الالهام الذى يدفعه الله تعالي فى القلب ليستنير بالمعرفة الالهية (وَمَنْ

لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) فاذا خشى الله تعالى وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اطمأن اليه (١) ووقف بين يديه خائفاً راجياً يناجيه بباطنه وظاهره يفكر فيما هو صائر اليه فيرضى برضائه ويرجع اليه في كل أموره فيهديه الى السبيل المستقيم قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) ومتى أناب اليه وأخلص فى الرجعى كان له خيرُ الدنيا والآخرة . قال تعالى (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ)أى في كل الأحوال واعتمدى عليه وتوكلي عليه وسلمى له الأمر (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) فاذا رجعت له فى الدنيا فترجع راضية به شديدة الحب اليه لا تعرف سواه ولا تخشى إلا إياه إذا ذُكِر خشعت . واذا تجلي عليها انتعشت . فهى فى القهر والبسط لا ترجو الا هو فيرضيها برضائه عنها فتعود (مرضية) برحمته ومحض فضله فتدخل في عبادة القائمين على ذكره وترجع في الأخرى مع الذين أنعم الله عليهم من

(١) وفى الحديث ـ البر ما اطمأنت إليه النفس اه الاربعين النووية

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

ومن إفاضات الذكر أنك ترى المداوم عليه منهم يبعث الله فى قلبه محبته تعالى فَيُشْغَلُ به . قال تعالى (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) . ومقام المحبة عظيم جداً قيل انه هو المحور الذى يدور عليه القلب فى المقامات الأخرى لأن الحب لا ينبغى أن يكون لأحد سوى الله تعالى فأنه أوجد العبد من العدم وهو الذى قومه وجعله عبداً من عبيده فأوجد له عقلا يميز به وجعل له أجلا يعيش به وهو المالك له فلا ينبغى أن يحب سواه (١)

والحب تعلق القلب بالمحبوب فيشغله حتى لا يرى غيره وله لذة عند أهله والعبد متى صدق وأخلص فى محبته

(١) وهذا لاينافى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فان حبه صلى الله عايه وسلم موصل لحب الله كما أن حب الصحابة وغيرهم من التابعين والداعين الى الله موصل الى حب النبي صلى الله عليه وسلم

عرف الاغيار فابتعد عنها ولازم ربه وزهد فى الدنيا وما فيها ومن فيها ورغب عنها بقلبه . قالت رابعة العدوية .. محب الله لا يسكن أنينه وحنينه حتي يسكن مع محبوبه والغرض أن يكون حب الله في قلبه وفي جميع جوارحه فلا يرى غيره . وفى الحديث القدسى (لاَ تَسعنِى السَّموات وَالأَرضُ وَلكنْ يَسعنِى قَلبُ عَبدِى المؤمن)

والحب يورث معاملة المحب للمحبوب بما يريده فلا يفعل مايغضبه وربما أصبح المحب محبوباً فصلح له الحال ويعرف كيف يكون الكمال فى معاملة ذى الجلال سبحان من تنزه عن الكليات والجزئيات وهو العليم بالجزئيات والكليات

ومن بركة الذكر أنه يورث (الاخلاص) وهو الأساس فى معاملة الله فمن عامل الله وأخلص نيته لله فاز بخير الدنيا والآخرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما الاعمالُ بالنيات وإنما لِكلّ امرىءٍ مانوى فمن كانتْ هِجرتهُ إلى اللهِ ورسُولهِ فهجرتهُ إلى اللهِ

وَرسُولهِ) وقال تعالى (وَما أُمِروا إلا لِيَعبُدوا اللهَ مخلِصِينَ لهُ الدّينَ) وقال تعالى (ألاَ للهِ الدّينُ الخالصُ) وقال تعالى (إلا الذينَ تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله)

وقد ذكر الأمام الغزالى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال (ظنّ أبى أن له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم (إنما نصرَ اللهُ عزّ وجلّ هذهِ الأمة بضعفاء دعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم) — وأورد أيضاً عن الحسن رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول اللهُ تعالى الاخلاص سرّ من سرّى استودعته قلب من أحببتُ من عِبادِى) وأورد أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (مامن عبد مخلصٍ للهِ العملَ أربعينَ يوماً إلا ظهرت ينابيعُ الحكمةِ مِنْ قلبهِ على لسانِه)

والاخلاص لابد أن يكون القصد منه التجريد للقرب من الله تعالي خلياً من الشوائب والعبد متى أخلص

لله تعالى أخلص للناس لأنه يراقب ربه فى إخلاصه
والمخلص الذى تخلص من الأغيار وعامل الملك القهار
كافأه الله تعالى مابينه وبين الناس فإن تخليص النيات أشد
من جميع الأعمال وتقتضى جهاداً وتوبةً نصوحا

ومن هدايات الذكر أنه يورث مقام (المراقبة) وهى مراقبة
التعظيم والجلال لذى العزة والكمال فيصير القلب مستغرقاً
بملاحظته منكسراً تحت هيبته تعالى فلا يجعل فيه متسعاً
للالتفات إلى الغير فإذا استعملت الجوارح فى المراقبة كانت
جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف فاذا تحركت
بالطاعات فلا تحتاج الى تدبير وينفطر القلب على العمل لله
تعالى على وجه الاخلاص فيظهر عمل العبد عليه من غير
أن يريد هو إظهارهُ بل يكون ممن قال بعض الصالحين
رضى الله عنهم عليك بصحبة من تُذكّرك اللهَ رؤيتُه وتقعُ
فى قلبكَ هيبتُه يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله
ثم ليراقب أن الله تعالى يرقبه وأنه رقيب عليه فوق
مراقبة الحافظين الكاتبين قال تعالى (قُلْ إنْ تُخفُوا

مافى صُدُوركمْ أوْ تُبدُوهُ يعلَمْهُ اللهُ) وقال تعالى (يَعلمُ
خائنةَ الأعينِ وما تخفِى الصُّدُور) وكان بعض الصالحين
يقول الناس ترى الشيء ثم ترى الله سبحانه وتعالى . ومنهم
من يرى الله سبحانه عند مايرى الشيء وأنا أرى اللهَ قبل
أن أرى الشيء

ومن أسرار الذكر أنه يورث مقام (الخشوع) والخشوع
ثمرةُ الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عزّ وجلّ
فى القلب فيلاحظ المذكور كأنه واقف بين يديه فمن رُزقَ
ذلك راقب ربّه ودامت عليه اللذات وأصبح خاشعاً فى
الذكر وفى الصلاة بل وفى خلوته لأن من موجب
الخشوع معرفة العبد أن الله مطلع عليه وأنه أحاط بكل
شيء علماً فيعرف بأنه مهيمن عليه ورقيب عليه فى كل أحواله
فيتذكره ويخشع قال تعالى (ألم يأنِ للذين آمنوا أنْ تخشَعَ
قلوبُهم لِذكرِ اللهِ وما نَزّلَ مِن الحقّ) وقد رُوى عن
بعضهم انه لم يرفع رأسه الى السماء أربعين عاماً حياءً من
الله تعالى وخشوعاً

والخشوع يوجب التفكر ويجلب الأسرار والأنوار بكثرة الذكر . والذكر أول ما يكون باللسان ثم بالجنان ثم بالسر وربك أعلم السر وأخفى وفي الحديث (أنا جَليسُ مَنْ ذكرني) ومن راقب ذلك فقد خشع

ومن فضل الذكر انه يورث (الحياء) من الله تعالى فيذوق الذاكر منه لذة الإيمان ويتخلق به . والحياءُ هو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم (استحيُوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحي يارسول الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحي من الله حق الحياء فليحفظِ الرأسَ وما وعَى وليحفظ البطنَ وما حَوى وليذكرِ الموتَ والبلَى . ومن أراد الآخرةَ تركَ زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياء)

وكان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كثير الحياء من الله سبحانه وتعالى حتى أنه كان إذا اغتسل يضع ثوبا على بدنه حياء من الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عنه (إني لأستحي مِنْ رجلٍ تستحي منه الملائكة

في السماء)

ومن سره أيضاً أنه يورث (الخوف والرجاء) . **والخوف** هو سبب في الوصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة . ولا يحصل الا بالمحبة والأنس به في الدنيا ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا ينقطع ذلك الا بنار الخوف من الله تعالى

فالخوف هو النار المحرقة للشهوات . قال تعالى (وَخافُونِ إن كُنتُم مُؤْمنين) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن خافَ اللهَ خافَه كلُّ شيءٍ ومن خافَ غيرَ اللهِ خوّفهُ الله من كلِّ شيء)

والخوف إما خوف الذنوب واستكثارها والقنوط فيكون يأساً من رحمة الله وهذا منهيٌّ عنه ومحذر منه . وإما خوف مقام المولى سبحانه وتعالى رهبة من سطوته وخوفاً

من عظمتــه فيرى العبد نفســه أنه لايصلح لقربه فيخاف الطرد ويقف ذليــلاً تحت رحمته وعفوه وهــذا مطلوب ومرغوب فيه قال تعالى (ولِمنْ خافَ مقامَ ربّه جنّتانِ) ففي الحالة الأولى يلزم أن يغلب الرجاء على الخوف

والرجاء دواءٌ يداوى به القلبَ فيرجعه إلى رحمة الله ولطفه لذا يئس من خوفه وقنط من رحمته قال تعالى (قُلْ يَاعبادِيَ الَّذين أسرَفُوا على أنفُسِهم لا تَقنطُوا مِنْ رَحمةِ الله إنَّ اللهَ يَغفر الذُّنوبَ جميعا إنهُ هو الغفُورُ الرَّحيم) وقال تعالي (إنَّ الَّذينَ يَتلُونَ كتابَ الله وأقاموا الصَّلاةَ وأنفقُوا ممَّا رزقنَاهم سِراً وعلانيةً يَرجُونَ تِجارةً لَنْ تبُور) والتجارة هي الايمان بالله تعالي للنجاة من العــذاب قال تعالى (يا أيُّها الذينَ آمنوا هلْ أدُلُّكم على تِجارةٍ تُنجِيكُم مِن عذابٍ أليمٍ تؤمنون بالله ورسولِه)

ومن أسرار الذكر أيضاً أنه يورث مقام (التقوى) فيذوق لذة الخشــية من الله تعالى والتوقي من غضبه بترك مانهى الله

عنه من الــكبائر والتوقي أيضاً من الزلل فى مقامات السير اليه تعالى وحسن الأدب معه قال تعالى (واتَّقونِ ياأولى الألبـاب) وأولوا الألباب هم الذاكرون الله تعـالي بلا شك بدليل قوله تعالى (إنَّ في خَلق السَّمواتِ والأرض واختلافِ الليلِ والنَّهارِ لآياتٍ لِأُولِي الألبـاب الَّذين يَذكُرُونَ اللهَ قِياماً وقعودًا وعلى جُنوبِهم ويَتفكَّرُون فى خَلق السَّمواتِ والأرض)

والتقوى هي ثمرة الخوف والمراقبة والخشـية . قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (التقوى هاهنا وكان يشير الى صدره الشريف . وقال صلى الله عليه وسـلم (إن الله لاينظر إلى صورِكم ولا إلي أموالِكم وإنما ينظر الى قلوبِكم وأعمالِكم)

والتقوى هي وضع النفس في مقامها من الله تعـالي فيقف العبد ذليلاً يعلم انه عبد والله رب قادر قاهر مهيمن قيوم وفرق بين مقام العبد ومقام مولاه وخالقه

فيرى أن الله قادر على كل شئ والعبد هو العاجز عن كل شئ . يرى انه الضعيف والله هو القوى . يرى أن الله مالك كل شئ وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً . وقال تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) أى أخشاكم . وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) وقال تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله) وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)

ومن سر الذكر أيضاً أنه يورث مقام (الصبر) والصبر هو الثبات مع الله تعالى فى حبه وعبادته والوقوف مع البلاء بحسن الأدب مع الله تعالى وتحمل المشاق والأذى فى السير اليه تعالى وحيث كانت الدنيا مزرعة الآخرة وكان لابد للمقيم فيها من اتخاذ المعدات التى تقيه فيها كالمعدات التى تلزم للمسافر . منها الأموال والأنفس

والصحة وغير ذلك . وكان من سنة الله فى خلقه إعطاء المعدات للعبد يوجدها ويعدمها كيف أراد . فمن الواجب على العبد أن يرى أن الأخذ والعطاء من الله تعالى فيرضى به ويصبر وله البشرى فى الحياة وفى الآخرة قال تعالى (ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)

وحيث كانت الهجرة إلى الله ورسوله وكان لابد للمهاجر من السير فى طريق يوصله الى محل هجرته والسفر لابد أن يكون مصحوباً بمشقات وتعب . فالصبر على مشقات العبادة منزلة مطلوبة وهو العدة لها . قال تعالى (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ولقد سمعت شيخى رضى الله عنه يقول اصبروا فى صلاة الظهر ورابطوا فى صلاة العصر

واتقوا الله في صلاة المغرب لعلكم تفلحون بعد صلاة العشاء

ومن الصبر أيضاً الصبر على مجاهدة النفس وردّها عن هواها . والصبر على الدعوة في سبيل الله وتحمل الأذى فيها . والصبر على أحوال النفس في المقامات فيردّها في وقت الغضب إلي الحلم ويردّها عن الانتصار لها إلى مراقبة الله تعالى والتسليم له . قال تعالى (وَاصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلاّ بالله ولا تَحزنْ عليهمْ ولا تَكُ في ضَيقٍ ممّا يَمكُرُون إن اللهَ مع الذينَ اتَّقَوا والذينَ هُمْ محسنُون)

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياغلام (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجدهُ تجاهك أو قال أمامَك تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة إذا سألتَ فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فإنّ العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله تعالى لك لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله تعالى

عليك لم يقدروا على ذلك جَفّت الاقلام وطُوِيَت الصحف فأن استطعت أن تعمل لله تعالى بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً) واعلم أن النصر مع الصبر . وأن الفرجَ مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين . أخرجه الترمذي

ومن سرّه أنه يورث مقام (الزهد) والزهد هو ترك حظوظ النفس كلها الى ماهو خير منها فمن ترك الدنيا ورغب في نعيم الآخرة فهو زاهد . وأهل الكمال يرون أن الزاهد في كل ماسوى الله تعالى حتى الجنان ولا يحب إلا الله تعالى هو الزاهد المطلق . ولا يظن أن ترك المال والولد وإظهار الخشونة زهدٌ خصوصاً من أحب المدح بالزهد بل الغرض بالزهد ألاّ يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود فربما أن الزاهد يكون لديه المال كله وفي خير من نِعم اللهِ ولكنه بعيد عنها لا حظّ لنفسه في شيء منها فطرة يُفطَرُ عليها يغرسها في قلبه حبُّ الله تعالى فيستوى عنده المدح والذم والقليل والكثير ويكونُ أُنسُه بالله خير له

من الجنة ونعيمها فكيف بالدنيا وما فيها وقد قال الله تعالى (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد) . وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب)

وفى حديث سيدنا عمر رضى الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) . قال صلى الله عليه وسلم (تباً للدنيا تباً للدينار والدرهم) فقلنا يارسول الله نهانا الله عن كنز الذهب فأى شيء ندخر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة أن تكون بما فى يد الله تعالى أوثق منك بما فى يدك وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك) أخرجه الترمذى

فالذكر يورث حب الله تعالى للعبد والحب يورث الزهد فى الدنيا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس)

ومن سره أنه يورث مقام التوكل وهو تسليم الأمور الى الله تعالى والاعتماد عليه فى كل الأحوال ومعرفته أنه هو المؤثر فى كل شيء وهو المدبر لكل شيء فلا تدبير سوى تدبيره تعالى ولا معطي سواه

وهذا لا يوجب ترك الأمور وعدم اتخاذ الأسباب بل إن اتخاذ الأسباب مع التوكل من الأمور المطلوبة

شرعاً فلا يصح أن يكون أمامك الأكل وأنت فى شدّة
الجوع ولا تمدّ يدك لتأكل وتقول أنا متوكل ومنتظر من
يأتى فيدخل الأكل فى جوفي مسوّى بل من الضروريات
أن تمدّ يدك لتأكل وهذا لا يمنع التوكل والاعتماد على
الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو توكلتم
على اللهِ حقّ توكلِهِ لرزقكمْ كما يرزقُ الطّير
تغدُو خماصا وترُوحُ بطانًا ولزالتْ بدعائكم الجبالُ)
فانظروا إلى أنه قال تغدو وتروح أى أنها تأخذ الأسباب
بالغدوّ والرواح والله هو المعطى

ومن نظر إلى الكفيل سبحانه وتعالى حين اتخاذه
الأسباب وإلى قدرته وحفظه كان متوكلاً . قال تعالى
(وعلى اللهِ فتوكلوا إنْ كنتمْ مؤمنين) وقال تعالى
(وعلى اللهِ فليتوكّلِ المتوكلونَ) وقال تعالى (ومن
يتوكلْ على اللهِ فهو حسبُهُ) وقال تعالى (إنّ اللهَ يحبُّ
المتوكلين) . وسمعت من شيخى رضى الله عنه يقول لو
بلغ العبد مقام حسن التوكل وضُرب بالسيف ماجاز فيه

ومن سرّه أيضاً أنه يورث مقام (الشكر) والشكر
هو استعمال نعم الله تعالى في طاعته والجوارح فيما خلقت
لأجله والنظر فى إدراك حكمة الله فى خلقه فيعلم أنه تحت
الحكمة ماهو مراد الله منه كالعلم بأن العين للأبصار
واليد للبطش والرجل للمشى والأذن للسمع واللسان
للكلام والقلب للعلم والاعتقاد فيستعملها فيما خلقت
لأجله من طاعة الله وما يباح شرعاً فلا يجعلها للاضرار
لنفسه أو للناس لأن من علم حكمة الله في خلقه قام بشكره
قال تعالى (وسنجزى الشاكرينَ) وقال تعالى (فاذكرُوني
أذكُركم واشكُروا لى ولا تكفُرون)

ومن الشكر أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه
المأمور بها قال تعالى (فأمّا من أعطى واتّقى وصدّقَ
بالحُسنى فسنيسرهُ لليُسرى) والشكر يكون على النعمة
والنعمة توجب الفرح والفرح يوجب شكر المنعم والنعم
كلها من الله تعالى والشكر لا يكون إلا له قال تعالى
(لَئِنْ شكرتُمْ لأزيدنّكُمْ)

شرعاً فلا يصح أن يكون أمامك الأكل وأنت فى شدّة الجوع ولا تمدّ يدك لتأكل وتقول أنا متوكل ومنتظر من يأتى فيدخل الأكل فى جوفي مسوّى بل من الضروريات أن تمدّ يدك لتأكل وهذا لا يمنع التوكل والاعتماد على الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو تَوكّلتُم على اللهِ حقّ تَوكُّلِهِ لرزقكُمْ كما يَرزُقُ الطّيرَ تغدُو خماصا وترُوحُ بطانًا ولَزالتْ بدُعائكم الجبالُ) فانظروا إلى أنه قال تغدو وتروح أى أنها تأخذ الأسباب بالغدوّ والرواح والله هو المعطىٰ

ومن نظر إلى الكفيل سبحانه وتعالى حين اتخاذه الأسباب وإلى قدرته وحفظه كان متوكلاً . قال تعالى (وعلى اللهِ فتوكلوا إنْ كُنتُمْ مُؤمنين) وقال تعالى (وعلى اللهِ فليتوكّلِ المؤمنونَ) وقال تعالى (ومَن يَتوكلْ على اللهِ فهو حسبُهُ) وقال تعالى (إنّ اللهَ يُحبُّ المتوكلين) . وسمعت من شيخى رضى الله عنه يقول لو بلغ العبد مقام حسن التوكل وضُرب بالسيف ماجاز فيه

ومن سرّه أيضاً أنه يورث مقام (الشكر) والشكر هو استعمال نعم الله تعالى فى طاعته والجوارح فيما خلقت لأجله والنظر فى إدراك حكمة الله فى خلقه فيعلم أنه تحت الحكمة ماهو مراد الله منه كالعلم بأن العين للأبصار واليد للبطش والرجل للمشى والأذن للسمع واللسان للكلام والقلب للعلم والاعتقاد فيستعملها فيما خلقت لأجله من طاعة الله وما يباح شرعاً فلا يجعلها للاضرار لنفسه أو للناس لأن من علم حكمة الله فى خلقه قام بشكره قال تعالى (وسَنجزى الشّاكرينَ) وقال تعالى (فاذكُرونى أذكُركم واشكُروا لى ولا تكفُرون)

ومن الشكر أخذ المال من وجهه وصرفه فى وجوهه المأمور بها قال تعالى (فأمّا من أعطَى واتّقى وصدّقَ بالحُسنى فسنيسرهُ لليُسرَى) والشكر يكون على النعمة والنعمة توجب الفرح والفرح يوجب شكر المنعم والنعم كلها من الله تعالى والشكر لا يكون إلا له قال تعالى (لَئنْ شكَرتُمْ لأزيدَنّكُمْ)

والشكر يكون بالقلب وباللسان فبالقلب دون اللسان اخلاص النية لله والصدق فى معاملته . وباللسان مع القلب الحمد والثناء عليه وتمجيده تعالى بما يدل عليه وعلى عظيم قدرته تعالى وعطائه سبحانك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وهكذا يتدرّج من مقام الى مقام حتى يفنى فى حب الله تعالى ويعرف كيف يخشاه وهذه هى المقامات التى يطلبها أهل العرفان فلا يطلبون سواها فى الدنيا ليفوزوا بها في الآخرة . ومن صدقت نيته مع الله تعالى وتفكر فى مصنوعاته وسلك سبيل الصواب أورثه الله هذه المقامات فتكون فطرة فيه لا يتكلفها ويصير من أولى الألباب ويكون قلبه مصقولا مستعداً للتجليات الالهية والنفحات الرحمانية متعرّضاً لها كما ورد في الحديث (إن لله فى دهركم نفحات فتعرضوا لها) وفى حديث آخر (تعرّضوا لنفحات رحمة الله)

قال بعض الصوفية التقلب فى أطوار المقامات لعموم المحبين الذين أنابوا إلى الله وجاهدوا فيه فهداهم السبيل

وطوى بساط الأطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون الذين اجتباهم ربهم فلا تقيدهم المقامات ولا تحبسهم لأن بواطنهم صافية لاتحتاج الى مايصفها قال تعالى (اللهُ يَجتَبِي مَن يَشاء ويهدِي اليه مَن يُنيب)

تنبيه

ظن قوم أن التصوف هو معرفة الآداب ودراسة الكتب فأضاعوا أعمارهم فى البحث وعبارات أهل التصوف وقلوبهم خالية من كل أدب حقيقى فيُبعدوا عن الله تعالى وهم يحسبون أنهم على شئ ومثلهم مثل العالم الذى لايعمل بعلمه . ولذا كان ينهانا شيخنا رضي الله عنه عن القراءة فى الكتب وهو يقول من اجتهد في عبادة الله نوّر الله بصيرته وعرف مافى الكتب . ولذا كنا نرى الاخوان أميهم وعالمهم على جانب عظيم من الآداب العالية ومعاملة الله حق المعاملة وترى العالم يتصاغر لما يرى فى نفسه من القصور

عن مجاراة عامة الأخوان فى آدابهم واخلاصهم وعبادتهم وذكرهم مع الأدب والتواضع والبعد عن العجب والرياء . ولقد نرى الحكم العالية تصدر من أفواه عوام الاخوان وهم لا يتعمدون الوقوف موقف المرشد ويرون أن هذه الحكم من الأمور العادية التي ليست غريبة منهم

هذه المقامات والآداب المتقدمة تتولد فى نفس الأنسان من نفس معاملة الخالق معاملة قلبية يورثها الله سبحانه وتعالى للعبد بسر الذكر والعكوف على العبادة وهى المقصودة من علم التصوف

(قال ابن خلدون فى مقدمته عند التكلم على علم التصوف ما ملخصه)

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من من الصحابه والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الي الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه

الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً فى الصحابة والسلف . فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة . فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بمآخذ مدركة هم وذلك أن الانسان بما هو إنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان . إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم . وادراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضى والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف فى البدن تنشأ من ادراكات وارادات وأحوال وهي التي يتميز بها الانسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة . والفرح والحزن عن ادراك المؤلم أو المتلذذ به . والنشاط عن الحمام . والكسل عن الاعياء . وكذلك المريد فى مجاهدته وعبادته لا بد أن ينشأ له عن كل

مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة. وتلك الحال إما أن تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاماً للمريد. وإما أن لا تكون عبادة وانما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات . ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام الى أن ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخلَ الجنةَ)

فالمريد لابدّ له من الترقي في هذه الأطوار وأصلها كلها الطاعة والإخلاص ويتقدمُها الايمان ويصاحبها وتنشأ عنها الأحوال. والصفات نتائج وثمرات ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فتعلم أنه انما أتى من قِبَل التقصير في الذي قبله . وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية . فلهذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في حقائقها لأن حصول النتائج عن الأعمال

ضروريٌّ وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لأن الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع فإنهم يأتون بالطاعات مخلَّصةً من الفقه في الاجزاء والامتثال وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ليطلعوا أنها خالصة من التقصير أولا. فظهر أن طريقتهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والمتروك والكلام في هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم يستقر المريد فيها مقاماً ويترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم اذ الأوضاع اللغوية انما هي للمعاني المتعارفة فاذا عرض من المعاني ماهو غير متعارف اصطلحنا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه . فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي

الأحكام العامة فى العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم فى القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام فى الأذواق والمواجد المعارضة فى طريقها وكيفية الترقى منها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم فى ذلك . فلما كتبت العلوم ودوّنت وألفت الفقهاء فى الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة فى طريقهم . فنهم من كتب فى الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الأخذ والترك كما فعله (القشيرى) فى كتاب الرسالة والسهروردى فى كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع (الغزالى) رحمه الله بين الأمرين فى كتاب الأحياء فدوّن فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم فى عباراتهم . وصار علم التصوف فى الملة علما مدوّنا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط . وكانت أحكامها انما تتلقى من صدور الرجال كما وقع فى سائر العلوم التى دوّنت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول

وغير ذلك ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس اصاحب الحس إدراك شئ منها والروح من تلك العوالم . وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعف أحوال الحس وقويت أحوال الروح واشتدّ سلطانه وتجدد نشوه وأعان على ذلك الذكر فأنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال فى نمو ويزيد إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذى لها من ذاتها وهو عين الادراك فيتعرّض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الالهى وتقرب ذاته فى تحقق حقيقتها من الأفق الأعلى أفق الملائكة وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود مالا يدرك سواهم وكذلك يُدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية وتصير طوع إرادتهم فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا

الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شئ لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما وقع لهم من ذلك محنة ويتعوّذون منه إذا هاجتهم . وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية

وفى فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ومن تبع طريقتهم من بعدهم ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم الا اذا كان ناشئاً عن الاستقامة لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وان لم يكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومثاله أن المرآة الصقيلة اذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذى بها جهة المرئى فإنه يتشكل فيه معوجا على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها المرئى صحيحاً . فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما ينطبع فيها من الاحوال

ولما عنى المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا فى حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم فى طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجدهم فى ذلك وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع فى هذا الطريق رداً وقبولا اذ هي من قبيل الوجدانيات ثم إن كثيراً من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للردّ على هؤلاء وشملوا بالنكير سائر ما وقع لهم فى الطريقة والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل فإن كلامهم فى أربعة مواضع . أحدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال لتحصل تلك الأذواق التي تصير مقاماً ويترقى منه الى غيره كما قلناه . وثانيها الكلام فى الكشف والحقيقة المدركة في علم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوّة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتركيب الأكوان فى صدورها عن موجدها

وتمكونها كأمر . وثالثها التصرفات فى العوالم والأكوان بأنواع الكرامات . ورابعها ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها فى اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فمنكر ومحسن ومتأول .

فأما الكلام فى المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأذواق والمواجد فى نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير فى أسبابها فأمر لا مدفع فيه لأحد وأذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة

وأما الكلام فى كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم فى الكائنات فأمر صحيح غير منكر وأن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الأستاذ الاسفرايني من أئمة الأشعرية على انكارها لالتباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدى وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ماجاء به قالوا ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية فأن صفة نفسها

التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها وهو محال هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وإنكارها نوع مكابرة . وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك وهو معلوم مشهور

وأما الكلام فى الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما إنه وجدانى عندهم وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه واللغات لا تعطى دلالة على مرادهم منه لأنها لم توضع إلا للمتعارف وأكثره من المحسوسات فينبغى أن لا نتعرض لكلامهم في ذلك ونتركه فى ماتركناه من المتشابه ومن رزقه الله فهم شئ من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها سعادة . وأما الألفاظ الموهمة التى يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع فاعلم أن الأنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور

معذور فمن عُلِمَ منهم فضله واقتداؤه حُمِلَ على القصد الجميل
من هذا ولأن العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها
كما وقع لأبي يزيد وأمثاله ومن لم يُعلَم فضله ولا اشتهر
فؤاخذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على
تأويل كلامه . وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر فى حسه ولم
يملكه الحال فمؤاخذ أيضاً . ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر
المتصوفة بقتل الحلاج لأنه تكلم فى حضور وهو مالك
لحاله والله أعلم

وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة الذين
أشرنا إليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب
ولا هذا النوع من الإدراك إنما همهم الاتباع والاقتداء
ماستطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه ولم
يحفل به بل يفرّون منه ويرون أنه من العوائق والمحن
وإنه إدراك من إدراكات النفس مخلوق حادث وأن
الموجودات لا تنحصر في مدارك الإنسان وعلم الله أوسع
وخلقه أكبر . وشريعته للهداية أملك . فلا ينطقون بشيء

مما يدركون بل حظروا الخوض فى ذلك ومنعوا من
يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف
عنده بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا فى عالم الحس قبل
الكشف من الاتباع والاقتداء ويأمرون أصحابهم بالتزامها
وهكذا ينبغي أن يكون حال المريد والله الموفق
للصواب اهـ

الأحوال

وإذا سلك العبد مسلك الصالحين . وتدرّج فى مقامات
السالكين . وعامل الله معاملة اليقين . أصبح قلبه مسلكاً
للتجليات الإلهية والعطايا اللدنية . فقد قيل أن المقامات
مكاسب والأحوال مواهب والمواهب محفوفة بالمكاسب .
والمكاسب محفوفة بالمواهب . والأحوال مواهب علوية
وسماوية والمقامات طرقها على أن المقامات والأحوال كلها
مواهب . وإنما قال بعض الصوفية كل ما كان من طريق

الاخذ بالأسباب بعمل العبد فأنه كسب وما لاح من طريق المواجيد والأحوال فأنه وهب . وقد ذهب بعضهم إلى أن الأحوال لاتكون إلا إذا دامت فأما إذا لم تدم فهى لوامع . وطوالع . وبوادر وهى مقامات الأحوال وليست بأحوال فمن سلك حاله وثبت فى أحواله وراقب ربه أطلعه الله على مقامات نفسه ومقامات غيره فثبت فى الأحوال وأفنى نفسه في الله واتخذ الفناء مع العجز عن الأدراك حالا له ثبت فيه وكان من أهل الكمال

وقد رأينا والحمد لله شيخنا رضى الله عنه جمع هذه الصفات وكان من أهل الثبات متقلباً في جميع المقامات حتى أصبح كاملاً فى نفسه كاملاً مع غيره كاملاً مع الله تعالى

ولا تتوقف الأحوال على المقامات ولكن ربما صحت المقامات بالأحوال لأن الحال يرقى إلي المقامات وإلى دوام تطلع العبد الى أكثر منها وعدم القناعة فى محبة الله تعالى وفى القرب منه والعلم به . قال رسول الله صلى الله

ضرورى وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك لا القليل من الناس لأن الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع فإنهم يأتون بالطاعات مخاصةً من الفقه في الاجزاء والامتثال وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ليعلموا أنها خالصة من التقصير أولا . فظهر أن طريقهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والمتروك والكلام فى هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم يستقر المريد فيها مقاماً ويترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم اذ الأوضاع اللغوية انما هى للمعانى المتعارفة فاذا عرض من المعانى ماهو غير متعارف اصطلحنا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه . فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذى ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهى

كما أن القلبَ لايسلم منَ التقلبات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلبُ المؤمن بينَ أُصبعين من أصابع الرحمن يُقلبهُ كيفَ يشاء)

وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه (اللهم يامقلب القلوب والأبصارِ ثبّت قلوبنا على دينك ياألله)

فالقلب مصدر للتقلبات والتطورات وله جملة أحوال منها حديث النفس والخواطر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انَّ للشيطانِ لَمّةً بابن آدمَ وللملك لَمّةً فأما لَمّةُ الشيطانِ فأيعادٌ بالشرّ وتكذيبٌ بالحق . وأما لمةُ الملك فأيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق فمن وجدَ ذلك فليعلم أنّه منَ اللهِ وليحمدِ الله . ومَن وجدَ الأخرى فليتعوذ باللهِ منَ الشيطان ثمّ قرأ الشيطانُ يعدكُم الفقرَ ويأمرُكم بالفحشاء) رواه الترمذى عن ابن مسعود

وللذكر نورٌ يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا للنار فاذا غفل الانسان تحرّكت النفس وكان لها حديث مع

الشيطان وقربت منه وتكدّرَ صفو القلب وتكتسب ذنوباً تحجب العبد عن ربه فتبعده عن العمل . قال تعالى (كلاّ بلْ رانَ على قلوبِهمْ ما كانوا يكسبُون)

فكلّ مايلهوا به الانسان ويغفل عن ربه فهو ران وشر اصاحبه وكل حديث للنفس فهو من الشيطان

أما من اتقى وذكرَ الله تعالى أزال الله عن قلبه الرانَ ورزقه التميز ونور القلب وصفاءه فيعرف الهدى من الضلال ويصير حديثه فى الخير وفى تصديق الحقّ ويكون من الله تعالى . قال تعالى (إنَّ الذينَ اتّقوا إذا مسّهمْ طائفٌ منَ الشيطانِ تذكّرُوا (أى ذكروا الله تعالى) فاذاهم مبصرون

وفى الحديث إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى تولى وخنس وإذا غفل التقم قلبه محدّثه ومنّاه وقال تعالى (ومنْ يعشُ عن ذكرِ الرحمنِ نُقيّضْ له شيطاناً فهو لهُ قرين)

فالذكر يورث التقوى ويحمى الجوارح من المكاره

ويظهر الباطن ويتقى حديث النفس فان حديث النفس أسوأ المعاصى والذاكر السائر فى مقامات السائرين إلى الله تعالى يندر فى حقه الخواطر الشيطانية لأن حديث النفس يكون دائماً لحظوظها الدنيوية وميل الى الهوى وانتصار لها . وأما الخواطر الرحمانية فزجر للنفس وميل الى الأعمال الأخروية .

وقد كنا نري من أحوال الذاكرين اتباع شيخنا أنهم لايركنون الى خواطرهم بل يتثبتون منها دائماً فلا يستفزهم الطبع ولا يستعجلهم الهوى وكانوا يتأدبون مع الله تعالى فينزلون النفس الى الذل والفقر اليه تعالى فيغيثها سبحانه وتعالى ويلهمها فجورها وتقواها فيعرف ان كان الخاطر لطلب حظ فيصرفه وان كان لطلب حق فيمضيه فإن أمضى خاطر الحظ يستغفر الله تعالى ويؤنب نفسه لأنه يعرف أنه اقترف ذنباً يجب المتاب منه

ولا يزال الذاكر يترقى من خواطر الحظ الى خواطر الحق ويحقق من باطنه بمعرفة الخواطر ويتخلص من لمة

الشيطان فيكون مع لمة الملك ويكون قلبه مزيناً بضياء الذكر فيصفوا له الباطن ويستنير وتتسع له المعلومات فيترقى من حال إلى حال إذ يصير خاطر الحق عنده ثابتاً .

ومن ترك حب الدنيا مالها وجاهها ورفعته فيها ومنزلته عند الناس وكان أكله من حلال ميز بين الوسوسة والإلهام

ومن الأحوال السنية حال (الحب) وقد تقدم أن الحب مقام ولكن هذا فى حق العام . أما الخاص فهو حب الروح وحب الروح موهبة فهو حال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . ومن أحب عبداً لايحبه الا لله . . ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار) رواه الخمسة كما فى تيسير الوصول

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء (اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى وسمعى وبصرى

وأهلي ومالي ومن الماء البارد

فى الحديث الأول دلالة على أن هناك ذوقاً وأن هناك حلاوة ولا بدّ أن يكون لها لذّة . وفى الثاني يطلب أن يكون هذا حاله فيستأصل حب كل شئ ويبقى حب الله تعالى فى روحه وقلبه وكليته ليكون الطبع والجبلة والجوارح وكل شئ فيه حب الله لايشعر بغيره فيكون حب الذات عن مشاهدة الروح وهو الحب الذى يكون فيه الاختيار والاصطفاء من الله تعالى فيكون موهبة منه سبحانه وتعالى للعبد ويؤدى إلى العشق

(والعشق) هو الافراط فى الحب . قال الأستاذ الشبراوى فى شرح ورد سحر — اعلم إن الارادة لها تسع مقامات . المقام الأول (الميل) وهو انجذاب القلب الى مطلوبه فإذا قوى ودام سمى ولعاً وهو المظهر الثانى للارادة ثم إذا اشتدّ وزاد سمى (صبابة) وذلك إذا أخذ القلب فى الاسترسال فيمن يحب فكأنه انصب كالماء إذا أفرغ فلا يجد بدّاً من الانصباب وهو المظهر الثالث

للارادة ثم إذا تفرغ له بالكلية وتمكن منه سمي (شَغفاً) وهو المظهر الرابع للارادة ثم إذا استحكم في الفؤاد وأخذه عن الأشياء يسمى (هوى) وهو المظهر الخامس للارادة ثم إذا استولى حكمه على الجسد سمى (غراماً) وهو المظهر السادس للارادة ثم إذا تمكن وزالت العلل الموجبة للميل سمي (حباً) وهو المظهر السابع للارادة ثم إذا هاج حتى كان يفنى المحب عن نفسه سمى (وداً) وهو المظهر الثامن للارادة ثم إذا طفح حتى فنى المحب عن المحبوب سمى (عشقاً) وفى هذا المقام يرى العاشق محبوبه فلا يعرفه ولا يصغى اليه . وهذا آخر مقامات الوصول والقرب . وفيه ينكر العاشق معشوقه ولا يبقى الا العشق وحده فالعشق أعلى المقامات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ عَشِق وكَتمَ وَعَفّ وَصبرَ غَفرَ اللهُ له وأدخلهُ الجنّةَ) رواه ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما اه

فالعشق أصل الأحوال السنية وموجبها فالمرء مع

من أحب وكن مع الله ترى الله معك

ومن الأحوال السنية أيضاً (الشوق) وهو كما قال بعض الصالحين كالزهد من التوبة اذا استقرت التوبة ظهر الزهد . واذا استقرت المحبة ظهر الشوق .. والشوق موهبة يعطيها الله تعالى للعبد وهى ثمرة المحبة فمن أحب الله اشتاق الى لقائه . وهذا الشوق يحملهم الى عدم النظر الي الجنة ونعيمها بل يطلبون المحبوب نفسه كما قالت السيدة رابعة العدوية

كلهم يعبدوك من خوف نار * ويرون النجاة حظاً جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيحظوا * بقصور ويشربوا سلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار حظ * أنا لا أبتغى بحبى بديلا

ومن الأحوال السنية أيضاً (الأنس) وهو انبساط المحب الى المحبوب أو كما قال الجنيد ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة . وقال غيره الأنس محادثة الأرواح مع المحبوب فى مجالس القرب . قال تعالى فى حديث قدسى

(أنا جليس من ذكرنى) أى أنيسه فلا وحشة له على أن الأنس حال عظيم يؤنس الروح بلذة تذوقها فتندهش فيها وقد يراه المخلوق مع المخلوق فكيف بالخالق سبحانه وتعالى وفرق بين الأنس بالله والأنس بالمخلوقين

ومن الأحوال السنية أيضاً (البسط) وهو نشاط يهجم بسرور على القلب فيمتلئ القلب منه فرحاً وسروراً واستبشاراً من غير سبب سوى أثر الذكر وهو موهبة من مواهب الباسط سبحانه وتعالى ونور يغلب على القلب فيصل الى الروح فيتجلى فى سماء المعارف فيزداد علمها بالله لأن رزق الجسم الأكل والشرب ورزق الروح المواهب العلمية والله سبحانه وتعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده

وللنفس دسائس عند هذا الحال فانها تحين الفرصة فى هذا الوقت وتسترسل فى البسط فتخرج المريد عن حده اللازم بامالته الى الهوى وهذا ممقوت ومبعد . وليس هذا هو المطلوب مع الله تعالى

وانما المطلوب أن يراقب ذلك فيراقب المولى سبحانه وتعالي ويخاف الغفلة عنه بما وهبه الله اياه فيقف عند حد الأدب ولا يشغله قبض أو بسط

ثم ليحاسب نفسه خوف أن يكون ذلك حادث تلتقمه النفس من مجريات الأحوال بسبب نشاط طبيعى واهتزاز نفسانى أو بسبب سماع أو غير ذلك فيظنه حالا

ومن الأحوال السنيـة أيضاً (القبض) وهو ضـد البسـط وهو قهر يقبض النفس وهمّ يعترى القلب فيوهمه تارة ويخيفه أخري أو يسكنه بانـكماش مع الذل وهو من غير سبب أيضاً سوى أنه من أثر الذّكر وهو موهبـة من مواهب الحق يبعثه فى القلب ليجعـل النفس لوّامة. وفى هذا الحال يكثر العبد من الذلّ والندم والتوبة والرجاء والله يقبض ويبسط واليه ترجعون

وهذان الحالان لايظهران كما قيل إلا في أوائل المحبة الخالصة لأنه متى ثبت الحب بالقلب ثبتت الروح مع الله فلا قبض ولا بسط وإنما هى مشاهد

ومنها (التواجد والوجد) . فالتواجد هو استجلاب الوجد بالذكر والوجـد وهج بالقلب يعترى الذاكر فيشـتد عليه الولوع بالمحبوب من غير طلب حتى يصير هـذا الحال وجداناً فيستمر فيه .. وربما يكون الوجد من مشاهدة الرقيب وحضور الفهـم وملاحظة الغيب وربما يكون السماع سبب له ويكون الوجـد وارد حق جديد يجـده المستمع من نفســه وهو إما أن يرجع عن مشاهدات ومكاشفات فيكون من قبيل العلو والتنبيهات وإما أن يرجع الي تغيرات وأحوال ليست من العـلوم كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والقبض والبسط وهذه يهيجها السماع فان ظهر على الظاهر سمى وجـداناً بحسب قوة وروده على القلب وبحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط حواسه وجوارحه وقد يقوى الوجد فى البـاطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لايظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك

ومنهـا (الجذب) والجذب فى اللغة المد وجذب الشئ

يجذبه جذباً وجبذه على القلب (والجبذ لغة تميم) وجذبه حوّله عن موضعه . والانجذاب سرعة السير وقد انجذبوا في السير وانجذب بهم السير وسير الجذب سريع

قال الأستاذ الشبراوى في شرحه على ورد سحر اعلم أن أهل الجذب على أقسام كما أن أهل السلوك كذلك فمنهم مجذوب سالك . ومنهم مجذوب دام له الجذب . ومنهم مجذوب وقف بعد سيره ولا يصلح للإرشاد إلا الأول لمشاهدته سائر المقامات حال سلوكه وبعض أهل الجذب يطلعه الله تعالى على تلك المقامات فى زمن يسير كلحظة ليصلح للارشاد وكل من تقدم جذبهُ على سلوكه دل على عناية الله سبحانه وتعالى به لكن يشترط فى صلاحيته للارشاد أن يصحب جذبه السلوك ليقف على المقامات . والسلوك عبارة عن الانتقال من مقام الى مقام كالانتقال من اسم الى اسم ومن تجلٍّ الى تجلٍّ ومن نَفَس الي نَفَس اه

فالروح يدعوها العشق الى مشاهدة المحبوب فتجذب

ويجذبها الله تعالى بجذبات الحقّ إليه فتريد أن تسرع إليه في المسير وتشتغل به

والوجد والجذب أحوال تعترى النفس وتقوى فيها وتنتشر على أجزاء الشخص فى الجوارح والحواس والقلب والعقل والروح فتورثها أحوالاً كثيرة نراها على أهل الجذب والوجد من إخواننا

منها أننا نرى البعض ثملاً ناشيا يكاد يكون كالسكران أو المجنون من شدّة الحال غير أن السكران أو المجنون يذهب عقله فلا يدرى كيف حاله . أما هذا فمحفوظ له عقله ومدركاته وصاحب الحال ذو عقل اذا أراد العودة عاد كل شئ منه إلى مستقره فهو صاح . وصاحب الخمر أو المجنون لا يمكنه العودة لأنه مسلوب العقل وإذا عاد لا يستقر له شئ فى موضعه

ونرى من أحوال اخواننا أنهم لا ينعرجون فى أحوالهم ولا يستغرقون فيها لدرجة الدوام بل إنهم مع هذا الحال سالكون واقفون على حدّ المقامات وكان يحصل

للبعض جذب في مجلس الذكر وربما يخرجه عن حركة الذاكرين ولكن بمجرد أن ينبه الى الأمر من أحد اخوانه يعود مسرعاً نشطاً نادماً على ماظهر منه

السرياني

وتراهم ينطقون بكلام غريب تارة يفهم وتارة لا يفهم وهذا الكلام يعبرون عنه بالسرياني أو بكلام الروح ويتكلمون به كثيراً في مجالس الذكر وعند السماع أو عند قرع أسماعهم كلام غريب أو صوت مزعج أو عند رؤية منكر أو سماعه فتجد قلوبهم نفرت عن المنكر ونطقت بكلام قهري تقهر عليه النفس قهراً وربما حدث للبعض في الصلاة

ولقد كان الناس يتكلمون فيه ويقولون انه باختيار الشخص وأنه حرام في الدين قطعاً ولكن ذلك لأنهم لا يعرفون أحوال القوم ووجدهم ومعاملتهم لله

ولقد كنا في بلدة (بلقاس) مع سيدنا الأستاذ رضي الله عنه في احتفال جمع الآلاف من الناس وفيهم وجوه القوم ومن ضمنهم عين من أعيان البلد المتعلمين النابغين المشهود له ومن أرباب المراتب العالية وقد اجتمع بسيدنا الأستاذ وسأله عن أتباعه وعما يراه من أحوالهم في الجذب وغيره وكان يجيبه عنها وسأله عن الكلام (السرياني) وبالغ في السؤال وأنكر هذا الأمر وأن وقوعه بدعة في الدين وحرام. فقال له سيدي ان السالكين في طريقنا لم يتصنعوه ولم يقولوه من أنفسهم بل انهم مقهورون عليه . وقد اجتمع بنا مفتي الديار المصرية (الشيخ بكر الصدفي) فرآنا على هذا الحال ولم ينكر علينا فقال له هذا (العين) وهو الآن حائز لرتبة (باشا) أهل لو كتبت لك سؤالا عن هذا الكلام تجيبنا عليه كتابة لنرسله الى المفتي فيجيبنا عنه بالجواز . فقال رضي الله عنه نعم ذلك فأتى بمحبرة وقرطاس وسأله بما في معنى هذا السؤال

لقد سمعنا من بعض أتباعكم كلاماً غير مفهوم قالوا عنه إنه كلام (سرياني) وهذا ليس من الشرع فى شئ فهل تخبرنا عنه (فأجاب)

إن الذاكر الساهر الذى تعلق قلبه بربه يرد على قلبه من معاني الاسماء معانٍ يذوقها لا يمكنه التعبير عنها بأى لفظ عربي فيأخذه الوجد فينطق قهراً عنه بكلام لا يفهم وهو كلام الروح ولو صدر منه هذا فى الصلاة وكان هذا حاله لا يخرج من الصلاة كالعطاس لأن العطاس يخرج قهراً ولا يبطل الصلاة . فقال له الباشا لقد اقتنعت بهذا الجواب غير أننا لا نضمن أن يكون هذا من حال عندهم لأننا نراهم سالكين ليس عندهم حال الجذب الشديد الذى يجعلهم يقولون مالا يفقهون . فقال له ان أولادنا حالهم حال السلوك وقلوبهم مع الله . فقال له ربما البعض يتصنع هذا الأمر فهل أنت راضٍ عنه . فقال له لا أرضى ذلك ولا رسول الله ولا الله سبحانه وتعالى يرضى عنه ومن يفعلُ ذلك يكون ممقوتاً بين الله وبين الناس . فقال أريد أن

تعلن ذلك فأمر سيدى أحد علماء الأزهر من مريديه الذين كانوا معه فأعلن ذلك للجمع وبين لهم سؤال (الباشا) وكلام سيدى الأستاذ وقام عقب ذلك جملة من العلماء والحاضرين من المعترضين وغيرهم وصاروا يخطبون في الحث على الذكر ومدح الذاكرين حتى قال (الباشا) المحتفل انك حزت على حفلة دينية لو صرف على جمعها آلاف النقود لم يتحصلوا عليها بهذا المثال

هذا وقد قال بعض الصالحين المحبة معنى من المحبوب وهو الله سبحانه وتعالي . وهذا المعنى يقهر القلوب عن إدراكه ويمنع الأنس به عن عبارته . وهكذا نشوة المحب للمحبوب وتهتك المشتاق بالمشوق به وسريان الروح فى عالم التفكير ومسارح الترقى يجعلها تنطق بما لا تعى — أنطقها الله الذى أنطق كل شئ — وقد يستمر السالك فِي حاله هذا حتي يصير عادة عنده ويرجع منه بدرجات عظيمة وكشف كبير

وإذا انتهى إليه هذا الحال أصبح أنسه بمولاه خيرله

من سواه فيقف معه موقف الهيبة والإجلال والتعظيم لا يفكر إلا فى لقائه ورضائه عنه وزيادة الاحسان به فيقدر على نفسه ولا يرضى الكلام

قال الشبلى العارف إن تكلم هلك .. والمحب إن سكت هلك

ويروى عن الجنيد رضى الله عنه أنه منع بعض المحبين من أتباعه من الكلام فى حال الوجد فمات لوقته . فقال للحاضرين هذا هو المحب حقيقة لأن الكلام كان يفرج عنه ولما منع منه مات

ونرى من بعض أتباع سيدى الأستاذ من مَن أخذه الوجد يصفق على يديه ويصفر ويكاد يقطع ملابسه لكن الله سبحانه وتعالي يلطف به في الحال فيضبط حاله ويفيق بسرعة غريبة .. ومن لطف الله وسر هذا الطريق أنه طريق سلوك كما قال شيخنا أن المريد لا يأتيه هذا الحال وهو مشتغل بمهنته الدنيوية . أما ما يظهر منهم من الكلمات المتفرقة التى تظهر منهم فى بعض الأحيان ربما تكون

أسماء بلاد أو أسماء أشخاص أو حيوانات فإنها ربما تكون فى نفس المتكلم من الخواطر فغلب الوجد عليه فتكلم بما كان يجول فى خاطره قبل توارد الوجبة من الوجد وتدفعها الشدة فيكررها . ولذا قيل أن بعض القضاة أخذه الحال وهو فى القضاء فأخذه الجذب فصار يقول لاحق ولا استحقاق ولا ملك ولا شبهة ملك مما كان يقيده في قضائه واستمر عليه فى جذبه

وأما ما يقوله البعض منهم أخذا من كلام غيره فإنه أحد أمرين . إما انه ذو حال جديد فيكون قلبه مستعداً لما يرد عليه وكلام القوم نور فيتذوق فيه . واما أن يكون تقليداً بطبيعة الحال

ولذا نبه بعض الصوفية الى أن الذاكر صاحب الحال يلزمه تجنب سماع الكلام السوء حتى لا ينطبع فى قلبه لأنه قريب عهد بربه وقلبه كزجاجة المصور التي لم تر شمساً فأول شيء تراه ينطبع فيها هذا بخلاف المقلد فانه يموت ويكون كلامه ثقيلا على القلوب . وكنا نرى اخواننا يفرون

منه لثقله وخوف انتقاده بقلوبهم وهم مع الله فيكون انتقادهم نظراً منهم الى الغير . وقد نهى شيخنا عن التصنع كما مر

واليك ما أورده نجم العرفان الحافظ سيدى أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدى عبد العزيز الدباغ فى الكلام السرياني قال سمعته رضي الله عنه يقول إن اللغة السريانية هى لغة الأرواح وبها يتخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم لاختصارها وحملها المعانى الكثيرة التى لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها فى لغة أخرى . فقلت وهل تبلغها فى ذلك لغة العرب . فقال رضى الله عنه لا يبلغها فى ذلك الا ما فى القرآن العزيز فان لغة العرب اذا جمعت المعانى التى فى السريانية وكانت بلفظ العرب كانت أعذب وأحسن من السريانية . قال وسمعته رضى الله عنه يقول أن اللغات كلها مطنبه بالنسبة للسريانية لأن الكلام فى كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية . وفى السريانية يتركب من الحروف الهجائية

فكل حرف هجائى فى السريانية يدل على معنى مفيد . فإذا جمع الى حرف آخر حصلت منهما فائدة الكلام . ومن عرف لأى معنى وضع كل حرف هان عليه فهم السريانية وصار يتكلم بها كيف يحب وارتقى بذلك الى معرفة أسرار الحروف (١) وفى ذلك علم عظيم حجبه الله عن العقول رحمة بالناس لئلا يطلعوا على الحكمة مع الظلام الذى فى ذواتهم فيهلكوا نسأل الله السلامة

قال وسمعته رضى الله عنه يقول إن اللغة السريانية سارية في جميع اللغات سريان الماء فى العود لأن حروف الهجاء فى كل كلمة من كل لغة قد فسرت فى السريانية ووضعت فيها لمعانيها الخاصة التى سبقت لها الإشارة . مثاله أحمد يدل فى لغة العرب إذا كان علماً على الذات

---

(١) قال لى أحد اخوانى فى الله تعالى من غير المتعلمين ورد على وأنا أذكر أن كل حرف من حروف الهجاء يدل على اسم من أسماء الله تعالى وانه موضوع على جنس من خلق الله تعالى يحفظه الله بسر هذا الاسم

المسماة به . وفى لغة السريانية تدل الهمزة المفتوحة التى فى أوله على معنى والحاء الساكنة على معنى والميم المفتوحة على معنى آخر . وهكذا محمد في لغة العرب على الذات المسماة به . وفى السريانية تدل الميم على معنى والحاء المفتوحة على معنى والميم المشددة على معني والدال التى فى آخره على معنى وهكذا زيد وعمر ورجل وامرأة وغير ذلك مما لاينحصر فى لغة العربية فكل حروفها الهجائية لها معان خاصة فى اللغة السريانية وكذا حكم كل لغة (فالبار قليط) وضع فى كل لغة العبرانية علماً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفى السريانية الهمزة التى فى أوله تدل على معنى واللام الساكنة تدل على معنى والباء على معنى وهكذا إلى آخر حروفه . فالسريانية هى أصل اللغات بأسرها واللغات طارئة عليها وسبب طروئها عليها الجهل الذي عم بني آدم وذلك لأن مبنى وضع السريانية وأصل التخاطب بها المعرفة الصافية التي لاجهل معها حتى تكون المعانى عندالمتكلمين بها معروفة قبل التكلم فتكفى إشارة مافى إخطارها فى

ذهن السامع فاتفقوا على أن أشاروا الى المعانى بالحروف الهجائية تقريباً وقصدوا الى الاختصار لأن غرضهم الخوض فى المعانى لا فيما يدل عليها حتى أنهم لو أمكنهم إحضارها بلا تلك الحروف ما وضعوها أصلاً . ولهذا لايقدر على التكلم بها الا أهل الكشف الكبير ومن فى معناهم من الأرواح التى خلقت عرّافة درّاكة والملائكة الذين جبلوا على المعرفة فاذا رأيتهم يتكلمون بها رأيتهم يشيرون بحرف أو بحرفين أو بكلمة أو بكلمتين إلى مايشير اليه غيرهم بكراسة أو بكراستين فإذا عرفت هذا علمت أنه لما عم بنى آدم الجهل كان ذلك سبباً في نقل الحروف عن معانيها التى وضعت لها أولا وجعلها مهملة فاحتيج فى أداء المعانى الى ضم بعضها الى بعض حتى يحصل فيها مجموع يسمى كلمة فيدل على معني من المعانى الدائرة عند أهل ذلك الوضع فضاع بسبب جهل معاني الحروف ومعرفة أسرارها علم عظيم ومع ذلك فإن أخذت تلك الكلمة التى فى تلك اللغة وأردت أن تفسر حروفها بما كانت عليه قبل الوضع

والنقل وجدت في الغالب حرفاً منها يدل على المعنى الذي نقلت اليه لاتفاقه مع المنقول عنه ووجدت باقي حروف تلك الكلمة يدل على معانٍ أخر يعرفها السريانيون ويجهلها غيرهم فالحائط مثلا وضع في لغة العرب للسور المحيط بدار أو نحوها والحاء التي في أوله تدل على ذلك في لغة السريانية والماء مثلاً وضع في لغة العرب للعنصر المعروف والهمزة التي في آخره تدل على ذلك والسماء وضعت للجسم المعلوم والسين التي في أوله تشير الى ذلك وهكذا من تأمل غالب الأسماء وجدها على هذا النمط ووجد غالب حروف الكلمة ضائعة بلا فائدة . قال وسمعته رضي الله عنه يقول أن سيدنا آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما نزل إلى الأرض كان يتكلم بالسريانية مع زوجته وأولاده لقربهم بالعهد . فكانت معرفتهم بالمعاني صافية فبقيت السريانية في أولاده على أصلها من غير تبديل ولا تغيير الى أن ذهب سيدنا ادريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام فدخلها التبديل والتغيير وجعل الناس ينقلونها عن

أصلها ويستنبطون منها لغاتهم فأول لغة استنبطت منها لغة الهند فهي أقرب شيء الى السريانية (قال) وانما كان سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام يتكلم بالسريانية بعد نزوله من الجنة لأنها كلام أهل الجنة فكان يتكلم بها في الجنة ونزل بها الى الأرض (قال) فقلت قد ذكر المفسرون في قوله تعالى (خَلقَ الإنسانَ عَلَّمه البيان) ان المراد بالانسان آدم . والمراد بالبيان النطق بسبعمائة لغة أفضلها القرآن فقال رضي الله عنه ان ذلك التعليم الذي وضع لآدم صحيح وهو كذلك يعرف تلك اللغات ومَن دُونه من الأولياء يعرفها ولكن لاينطق الا باللغة التي نشأ عليها وآدم انما نشأ على لغة أهل الجنة وهي السريانية . قال وأما حديث ابن عباس مرفوعاً (أُحب العرب لثلاث) لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي . فان النفيلي قال لا أصل له وعده ابن الجوزي في الموضوعات . قال وسمعته رضي الله عنه يقول من تأمل في كلام الصبيان الصغار وجد السريانية كثيراً في كلامهم اهـ

الدرجات والكرامات

أما الدرجات فإنها عطية من الله سبحانه وتعالى وموهبة منه لا تنال بالطلب وليست هي المقصودة في العمل وأهل الكمال العاملين على النهج المار في الأحوال والمقامات لا يقصدون في عملهم نوال درجات أو عطايا إنما مقصدهم هو الله سبحانه وتعالى والفناء في حبه ورضاؤه عنهم فاذا أعطى الله تعالى العبد درجة من الدرجات أو موهبة من المواهب كان قبوله لها لأنها عطية من المحبوب لا أنها مطلوبة فلا تشغله

وسمعت شيخي رضي الله عنه يقول للمبتدئين اذكروا الله ذكراً خالصاً لوجهه الكريم لا تقصدون منه ولاية ولا درجة من الدرجات ولا عطية من المعطيات إنما اذكروه عبادة محضة . قال تعالى (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)

والدرجات كثيرة نذكر منها طرفاً على سبيل

الاستشهاد مما رأيناه في شيخنا وأتباعه ونقدم أولا بياناً مختصراً فنقول . قال تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) أي يُعلمه بعض الغيب فيكون إخباره عن الغيب معجزة فمن رسول بيان لمن ارتضى والولي لذا اخبر بشيء فظهر فهو غير جازم عليه بل يقول بناء على رؤياه أو بالفراسة أو بالالهام أو بالكشف أو بالسمع أو بالبصر وسيأتي بيان ذلك مفرداً عن كل درجة .

على أن كل كرامة للولي فهي معجزة للرسول وعلم الغيب لله سبحانه وتعالى فهو منفرد به لا يطلع عليه أحد من خلقه لا رسول ولا نبي ولا ملك ولكن يظهر ما يشاء من بعض الغيب على من يصطفيه من الملائكة والرسل والأنبياء والأولياء من ذلك إرساله الملائكة للرسل بالآيات والأحكام وما يقومون به من دفع الباطل الذي يصيبهم في

دعوتهم ببيان مواقعها قبل وقوع الشيء كما ورد في القرآن

(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) وقوله تعالى (الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

وقوله تعالى (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)

وقوله تعالى (سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) وغير ذلك فهذا إخبار بالمغيبات على لسان الملائكة وبالوحي القلبي وغيره للرسل والأنبياء والأولياء قال تعالى (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) وفي قوله تعالى (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) وقال تعالى (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا

عِلْمًا) وفي تكلم عيسى وغيره في المهد دلالة كبرى على إلهام الله سبحانه وتعالى لمن يريد أن يلهمه ما يريد من الآيات قال تعالى على لسان عيسى (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) والأحاديث الناطقة عمن تكلم في المهد مشهورة. على أن الله سبحانه وتعالى يكرم الولي من حيث لا يشعر الولي نفسه ويكشفه على ما يشاء أن يكشفه عليه لمصلحة عامة أو أمر ضروري يؤدي لإصلاح الحال في الدين أو الدنيا لقوم مؤمنين

ولو قيل لو جازت الكرامة للولي لما تميزت المعجزة للنبي وفسد الطريق إلى معرفة الرسول من غيره «فالجواب» أن الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي أن المعجزة خارقة للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدي «أي الطلب» والولي لا يدعي خرق العادة مع التحدي فإن الولي تابع للرسول متابع له. والكرامة مع متابعته للنبي واقتفاء أثره وسيره الى الله سبحانه وتعالى معجزة للرسول. ومما تقدم في

أحوال السالكين المحبين الوالهين الوالعين بالله سبحانه وتعالى يُعلم أن هذه الكرامات والدرجات إنما هى نورٌ يرسله الله سبحانه وتعالى في قلوبهم فيفيء على أرواحهم فتشهد بتدارك المعرفة مايريد الله تعالى أن يشهدهم إياه والعطايا لاتعد ولا تحصى ولكن نذكر منها طرفاً على سبيل التعريف فقط دلالة على فضل الله على عباده (منها)

الفراسة

وهى نورٌ يقذفه الله سبحانه وتعالى فى القلب بسبب إخلاصه فى محبته وسلوكه مقامات الوصول فيهتدى إلي الحق ويميز به الظلمات من النور فيدرك بعقله مسارح الأرواح وتقلبات القلوب مهما خفيت . ولذلك حث السادة الصوفية على ضرورة حفظ القلب مع السالكين خوف اتصال النظر بطريق استدلال الأرواح بنور الفراسة لخواطر القلوب فيحصل تغيير في التقابل فتتغير القلوب

ويتكدر صفوها والله تعالى مع المتقين قال تعالى (إنَّ اللهَ مَعَ الَّذينَ اتَّقوا وَالَّذينَ هُمْ مُحسِنُونَ) وقال تعالى فى حديث قدسى «أنا معَ المنكسرةِ قلوبهم لأجلى»

وفى الأثر اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله .

وفى الأثر أيضاً «اتقوا غيظ القلوب» ثم إن الفراسة تتولد من السير في مقامات السلوك فيتقلب القلب فى المجاهدات ومعرفة خطايا النفس فيشهد مثل أحواله فى غيره والمؤمن مرآة أخيه فيتفرسها .

والفراسة أيضاً تهجم على القلب من نار الوجد والمحبة لله تعالى حتى تصير إلهاماً .

والفراسة أيضاً ربما تكون من قوة الروح المتسلطة على العقل فتدرك بطريق التمييز وقد يكون فى عامة الناس وليست هذه الأخيرة هى المقصودة من مواهب الأولياء (ومنها)

الالهام

وهو عبارة عن وحي يوحيه الله تعالى في القلب بنور المعرفة فيهتدى إلى الصواب ويثمر علماً لدُنّياً من علم الله تعالى . والعلم اللدّني هو الذي لا واسطة في حصوله بين الروح وبين الله سبحانه وتعالى بل يكون كالضوء من النور يفرغه الله على قلب صاف فارغ من الأغيار ومن هوي النفس ومن حب الدنيا ومن الأمراض التي تحجب العبد عن ربه فتنزل على قلب لطيف تشغله فيكون واسطة العبد بربه فلا ينطق إلا حقاً ولا يقول إلا مايريده الله سبحانه وتعالى . وقد قال شيخنا رضى الله عنه (لا يأتي من الذكر غير الحق لأن القلب الصافي المشغول بالله يذكر الحق ولا يقول الا حقاً) قال تعالى (يُؤتِ الحكمةَ مَن يَشاءُ وَمن يؤتَ الحِكمةَ فقد أوتيَ خيراً كثيراً وما يذّكّرُ إلا أولُوا الألبابِ) وقال تعالى (واتّقوا اللهَ ويُعلّمُكُمُ اللهُ) وقال تعالى (وأَوْحينا إلي أمّ مُوسي أَنْ

أَرضعيه) يعنى ألهمها وهداها وقال تعالى (علّمَ الانسانَ مالمْ يَعلم) وقال تعالى (وَعلّمَ آدمَ الأسماءَ كلّها ثمّ عرَضَهمْ على الملائكةِ) وقد عُلم من هذا أنّ علم آدم كان علماً لدُنّياً ليس بتعليم ملك فهو علم موهوب لأنه قال ثم عرضهم على الملائكة . وعِلمُ الانبياء علم موروث منه ثم علم موهوب لهم يختصون به بواسطة وبغير واسطة . فبواسطة كالوحى بواسطة الملك . وبغير واسطة كالوحي فى الروع . كما أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث للأمة بالنور الموروث والموهوب له خاصة فعلمه علم موهوب خصوصية له وموروث له من آدم وإن كان هو الأصل قبل خلق آدم .

قال الامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي مامخلصه .

والعلم اللدُني يكون لأهل النبوة والولاية كما حدث للخضر عليه السلام حيث قال تعالى (وَعلمناهُ مِنْ لدُنّا عِلماً)

والوحى قد انقطع بانقطاع النبوة لأن باب الرسالة قد أغلق بعد تصحيح الحجة وإكمال الدين لهم على يد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى (اليومَ

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وليس من الحكمة إظهار زيادة الفائدة من غير حاجة بإرسال الرسل ولكن ضرورة النفوس وحاجتها الى تأكيد وتجديد وتذكير جعل الله باب الالهام مفتوحاً ومدد نور النبوة لاينقطع رحمة منه سبحانه وتعالى بالأمة حتي لاتستغرق النفوس فى الوساوس وتنهمك فى الشهوات وليظهر ينابيع الحكمة فى الروح وتأثير المؤثر عليها ولأجل النظر فى ابداع الصنع والتفكر فى مخلوقات الله سبحانه وتعالى اهـ

ولو نظر الانسان فى نفسه وأن قلبه مسيطر على حواسه وجوارحه يحركها كيف أراد لعلم أن لله سبحانه وتعالى فى خلقه شئونا يحركها كيف أراد وأنه هو المعطى وهو المدبر وهو اللطيف الخبير .

فالإلهام عبارة عن نور يسطع فى قلب العبد المؤمن التقى السائر إلى الله تعالى الذى أخلصه اليه ورزقه حبه فاشتاق اليه وانجذب له فقذف في قلبه نور المعرفة وألهمه

الصواب وأزال عن قلبه الران وكشف له حجاب الجهل وعرفه به وعلمه ماشاء قال تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) أي علمها بنور المعرفة والتمييز فجورها ليبتعد عنه وعلمها تقواها لتخشى الله تعالى وتسير فيما يرضيه . ولقد شاهدنا على إخواننا هذا الحال فى وجود شيخنا رضى الله عنه وظهر منهم العجب العجاب فقد كانوا يقولون كلاماً على صورة الموزون من غير تحضير أو تفكير أو مطالعة كتب أو غير ذلك فيتكلمون فيه بالتوحيد المحض بكلام يؤثر على الأرواح تأثيراً كلياً فتسير فيها عوامل الحب ويورثها أنساً غريباً لم يعهد له نظير من قبل أو يتكلمون فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم بروح تظهر عليها الدهشة فى الحضرة النبوية فيتكلم بلسان الحاضر مع المصطفى فيجذب له الناس لاستماعه حتي رأينا من العلماء والمتعلمين وقادة العقول انكباباً على سماع هذا الكلام بجاذبية شديدة مع الدهشة والاستغراب لأن كلام الملهم منهم يخرج من روح عاملة لله فينزل فى القلب كالمصباح

فى المكان المظلم وقد يكون ذلك سبباً لهداية كثير من
الخلق لأن روح الدعوى والإرشاد التى يبديها الملهم فى
كلامه إنما هى روح من الله تعالى ألقاها فى القلب
لتلقيهم إلى معرفة الله والى عبادته . وكان بعض الناس
يظنون أن هذا الكلام ربما كان محفوظاً منه شئ فكانوا
يحضرون فى المجتمعات وحفلات الذكر ويختبرون الملهمين
بإلقاء أبيات من صناعة الشعراء ليقولوا عليها تشطيراً لها
أو مخمساً منها أو من نوعها أو من معناها فكان سيدنا
الأستاذ رضى الله عنه يبيح ذلك بصدر واسع ويأمر الملهم
أن يقول كما يطلبون إظهاراً لفضل الله تعالى وبياناً لواسع
إعطائه وتشويقاً لعباده فكان يقول المأمور قولاً بدون
تردد ينطلق فى الكلام انطلاقاً بأفصح عبارة وأحسن بيان
وكانوا يطلبون أيضاً تفسير قرآن . فكان رضى الله عنه
يأمر الملهمين أيضاً بالتفسير فيفسرون الآيات بأحسن
تفسير ولا يوجد أدنى وجه للاعتراض مطلقاً من الحاضرين
مع أن التفسير يكون بحضور كبار العلماء من الأزهر

وغيرهم من المعاهد الدينية والمدارس

ولقد رأينا بعض المدرسين وقضاة المحاكم الأهلية
والشرعية يتزاحمون لسماع هذا الكلام ومنهم من قال أن
هذا التفسير فى طائفة مخصوصة من أتباع الشيخ فقيل له
ان هذا فى غير واحد بل إن تلاميذ المدارس الواصلين على
سيدى فيهم هذه الموهبة فهم يقولون ويكتبون فطلبوا
من سيدى الأستاذ أن يأمر بعضهم أن يكتب
فنادى أحد تلاميذ المدرسة وطلب منهم أن يلقوا عليه
آية أو آيات من القرآن ليكتب عليها فطرح عليه أحدهم
أو هو الأستاذ « الشيخ طنطاوى جوهرى » الفيلسوف
الشهير آية من القرآن ليكتب عليها أمامه وهى (والسَّماءَ
رَفَعَها وَوَضَعَ المِيزانَ) وجئ له بالورق فكتب عليها
بدون تردد أو انتظار للكتابة أو قدح فكر كما هو شأن
الكاتب بل استرسل فى الكتابة حتى فسر الآية وملأ
أربع صحائف كبيرة فى مسافة لا تزيد عن ربع الساعة
والناس حاضرون يرون ذلك وبعد أن أتم الكتابة قرأها

عليهم فعلموا أن هذا سرّ الطريق والذكر وأن هذه موهبة من الله تعالى وأنه إلهام حقيقة لأن روح الإلهام ظاهرة فيه وكانت هذه آية من آيات الهداية وكرامة من كرامات الدعوى وأنه بروح من الله تعالى .

وتكرر ذلك مراراً فى كل بقعة وفى كل مكان من أناس كثيرين جداً فكانوا يذعنون الا الذى فى قلبه مرض بل وبما أذعن مريض القلب ثم يعود الى اصراره ..

(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) وهذا قد أرداه كبره عن الهداية شأن المتكبرين نعوذ بالله منهم . (ومنها)

الكشف والسمع والبصر

فالكشف نور في القلب يدرك به الولىّ عين الشئ بقوّة البصيرة فيطلعه الله على مايشاء أن يطلعه عليه بحسب حاله وهو على ثلاثة أقسام

أولها قوّة الخاطر وسرعة الفهم وتخيل الأشياء وتكرر ذلك مع صدق الخاطر فى كل مرة فيصير في قوّة الكشف وهو طوالع الكشف . وثانيها تمثل الأشياء الغيبية ومواقعها في القلب فتدرك بالتحقيق عند وقوعها ويتكرر ذلك . وثالثها ادراك الأشياء بقوّة البصيرة فيقول باطلاع محقق يطلعه الله سبحانه وتعالى عليه متى شاء .

والسمع والبصر قوّتان من قوة الكشف ودرجتان عظيمتان يهبهما الله سبحانه وتعالى للولىّ . قال لى شيخى ان الله سبحانه وتعالى يعطى للولي درجتىْ السمع والبصر فيرى الولىّ من هو فى أقصى الأرض ويسمع من يناديه كذلك .

ولقد كان لى واقعة حال معه رضى الله عنه فى هذه المسألة فانى في بدء أمرى قبل المعاهدة سمعت منه ذلك وما كنت أدرى أن الولى يسمع ويبصر . بل كنت أفهم أن ذلك عطاء يوحيه الله سبحانه وتعالى فى قلب من يريد

من أوليائه فقلت له كيف ذلك فقال يسمع الكلام فى القلب قبل أن يتقلقل ويبصره أيضاً كأنه محسوس فاندهشت في نفسي ونظرت إلى سيدى فى حال محادثته بحالة الاستغراب فنظر الىّ نظرة شديدة رأيته فيها كالأسد الضارى بعينين براقتين لا أكاد أنظر إليه وكدت أهلك من هذه النظرة ولم أجد لى مجالاً للقيام فسكتَ وسكتُ أنا مذعناً فهدأ روعى ولم يمكنى بعدها النظر اليه كما كنت أنظر اليه من قبل .

أما تحقق الكشف والسمع والبصر فقد ورد بتأكيده الشرع الشريف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد كانَ فِيمن كان قَبلَكُمْ مِن الأُمم ناسٌ مُحَدَّثون مِن غير أنْ يكُونوا أنبياءَ وإنْ يكُنْ فى أمتى أحدٌ فإنه عمر بن الخطاب) رواه أبو هريرة كما أخرجه البخارى

وقد ثبت عن سيدنا عمر رضى الله عنه فوق ذلك الكشف والسمع والبصر وإسماعه للغير فقد كان بالمدينة وجيشه « بنهاوند » وبينهما مسافة شهرين فرأى العدو

كامناً وراء الجبل ينتظر مرور الجيش فنادى سيدنا سارية وكان أمير الجيش وقال له « ياسارية الجبل » وهو على المنبر يخطب يوم الجمعة فسمع سيدنا سارية هذا النداء سماع المحقق وعلم أنه أمير المؤمنين فسار الى الجبل وهناك رأى الأعداء فانتصر عليهم ولولا ذلك لهلك الجيش . فانظر إلى رؤية سيدنا عمر رضى الله عنه . وإلي سماع سيدنا سارية كلامه .وإلى معرفة موضع النجاة فإن ذلك مما يثبت الكشف والسمع والبصر فى الأمة المحمدية . قال الامام حجة الحفاظ والمفسرين ناصر السنّة . ومؤيد الملة . تاج الدين سيدى عبد الوهاب بن تقى الدين السبكي رضي الله عنه فى طبقات الشافعية الكبرى لم يقصد سيدنا عمر رضى الله عنه إظهار هذه الكرامة وإنما كُشِف له ورأى القوم عياناً وكان كمن هو بين أظهرهم أوطُويَتْ الأرض وصاربين أظهرهم حقيقة وغاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بنهاوند فخاطب أميرهم خطاب من هو معه أو هو حقيقة أو كمن هو معه (قال) واعلم أن مايجريه الله على

لسان أوليائه من هـذه الأمور يحتمل أن يعرفوا بها
ويحتمل ألا يعرفوا بها وهى كرامة على كلا الحالتين .

ولقد أورد تاج الدين المذكور فى الكتاب المذكور
كلاماً عن الكرامات ما ملخصه

اعلم أن كل كرامة ظهرت على يد صحابي أو ولى
أو تظهر الى يوم يقوم الناس لرب العالمين فانها معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم لأن صاحبها انما نالها بالاقتداء
به صلى الله عليه وسلم وهو معترف له بأنه مُقدّمُ خليقة الله
وصفوتهم وسيد البشر الذى من بحره تستخرج الدرر
ومن غيثه يستنزل المطر وهذا المعنى يصلح أن يكون سبباً
اجمالياً عاماً فى الاظهار لاسيما في عصر الصحابة رضوان
الله عليهم أجمعين فإن الكفار إذا رأوا ما يظهر على يديهم
من الخوارق آمنوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم وعلموا أنهم
على الحق ثم أورد كرامات كثيرة للصحابة منها ما كان
على يد سيدنا أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه وهو ماصح من
حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن أبا

بكر الصدّيق رضى الله عنه كان نحلها جاد عشرين
وسقاً فلما حضرته الوفاة قال والله يابنيّ ما من الناس
أحدٌ أحبُّ إلىّ غِنًى بعدى منك ولا أعز على فقراً بعدى
منك وإنى كنت نحلتك جاد عشرين وسقاً فلو كنت
جددتيه وأخرتيه كان لك وانما هو اليوم مال وارث وإنما
هو أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله . قالت
عائشة يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته انما هى
أسماء فمن الأخرى . فقال أبو بكر ذو بطن بنت أراها
جارية فكان كذلك (قال) قلت فيه كرامتان لأبى بكر
« أحدهما » اخباره بأنه يموت فى ذلك المرض حيث قال
وإنما هو اليوم مال وارث « والثانية » إخباره بمولود يولد
له وهو جارية . ومنها ماحدث لسيدنا عمر رضى الله عنه
عند مازلزلت الأرض فى زمنه حيث ضرب الأرض بدرته
وقال لها أقرّى ألم أعدل عليك فاستقرّت .

ومنها جوابه للنيل أن يجرى وقصته مشهورة حيث
كتب بطاقة لسيدنا عمرو بن العاص ليلقيها في النيل حينما

أخبره بتأخر جريانه وبعادةِ المصريين الذين كانوا يرمون فى النيل جارية فألقاها لجرى النيل وأبطل العادة المنافية للإسلام.

ومنها ما وقع من سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث دخل عليه رجلٌ كان قد لقى امرأة فى الطريق فتأملها فقال له عثمان رضى الله عنه يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا فقال الرجل أوَحىٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ولكنها فراسة ... ومنها ما وقع على يد سيدنا علىّ رضى الله عنه وكرّم الله وجهه حيث دعا الله تعالى لرجل جفّ شقه الأيمن بسبب مخالفته لوالده ثم رضي عنه قال يامبارك قم فقام ومشى وعاد الى الصحة كما كان.

ومنها استسقاء سيدنا عمر رضي الله عنه بالعباس رضى الله عنه فأمطرت السماء وقصتهما مشهورة. وفى هذه القصة جواز الوسيلة بالأولياء كما فعل سيدنا عمر بالعباس رضى الله عنه.

ومنها على يد سيدنا عمر رضى الله عنه أيضاً حيث قال

للأسد الذى منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وذهب.

ومنها على يد العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه وقد بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة فى جيش فحال بينهم وبين الموضع البحر فدعا الله ومشوا على الماء.

ومنها أن سيدنا خالد بن الوليد شرب السم ولم يضره

وقد أخذ مما استطرده فى بيان الكرامات الرزق لمريم فى المحراب ولم تكن نبيّة.

وقصة أهل الكهف وقصة آصف بن برخيا مع سليمان فى حمل عرش بلقيس وما أعطاه الله لعلماء هذه الأمة وأوليائها من الكرامات وهى ماشاع وذاع بحيث لاينكرها الا جاهل معاند طُمِس قلبه والعياذ بالله فانها جارية مجرى شجاعة علىّ وسخاء حاتم وانكارها من أعظم المباهته. والاحتجار على مواهب الله تعالى لأوليائه عظيم عسير. وذكر أنواعاً من الكرامات وما وقع فيها للعلماء والصالحين من خوارق العادات (قال) منها احياء الموتى

واستشهد لذلك بقصة أبي عبيد البسري وقد صح أنه غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها حتى رجع الى بسر فقامت الدابة تنفض أذنيها . فلما فرغ من الغزوة ووصل الى بسر أمر خادمه أن يأخذ السرج عن الدابة فلما أخذه سقطت ميتة

وقال سيدى مفرج الدماميني للفراخ المشوية طيرى فطارت ونادى الشيخ الأحول لهرته بعد ماماتت فجاءت من الخرابة التى ألقيت فيها

ومنها كلام الموتى كما حصل لأبى سعد الخرّاز وغيره ومنها انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء كما اتفق لشيخ الاسلام تقي الدين بن دقيق العيد . ومنها انقلاب الأعيان كما حكى أن الشيخ عيسى العطار اليمني أرسل اليه شخص مستهزئاً به اناءين من خمر فصب أحدهما فى الآخر وقال بسم الله كلوا فأكلوا . ومنها انزواء الأرض وكلام الجمادات والحيوانات كما حصل لسيدى ابراهيم بن أدهم حيث كلمته الشجرة . ومنها ابراءُ العليل . ومنها الأخبار

بالمغيبات والتصريف حتى ذكروا أن بعضهم كان يبيع المطر . ومنها رؤية المكان البعيد ومن وراء الحجب والاطلاع على ذخائر الأرض وهكذا آخر ما أورده .

وذكر أن سيدي عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء رد وعاء الجبن مع رسول الشيخ عبد الله البلتاجي حين ما أهداه به وبغيره فأخذ غيره ورد الجبن من غير مايعلم شيئاً عنه وقال له إن المرأة التي حلبت هذا كانت يدها متنجسة بالخنزير وكان ذلك صحيحاً لأن الرسول وقع منه الوعاء في الطريق فانكسر بالجبن فرآه شخص ذمي فباعه غيره وهو الذى رده الشيخ . وذكر عنه أيضاً أن الأفرنج فى زمنه وصلوا إلى المنصورة فى المراكب واستظهروا على المسلمين وكان الشيخ مع العسكر فقويت الريح فلما رأى الشيخ حال المسلمين نادى بأعلى صوته مشيراً بيده الى الريح ياريح خذيهم عدّة مرات . فعلت الريح على مراكب الافرنج فكسرتها وكان الفتح وغرق أكثر الأفرنج وصرخ بين يدى المسلمين صارخ الحمد لله الذى

أرانا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً سخر له الريح .

وفى زمنه حكم هو على أمراء الدولة من الأتراك ببيعهم لأنهم لم يثبت عنده أنهم أحرار وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين فبلغهم ذلك وعظم الخطب عندهم ونزل نائب السلطان على فرسه وذهب لبيت الشيخ ليقتله فخرج الشيخ وحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها وأرعدت مفاصله فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له وقال له ياسيدى أى شئ تعمل . قال أنادى عليكم وأبيعكم قال ففيم تصرف ثمننا قال فى مصالح المسلمين قال من يقبضه قال أنا قال فتم له ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً وغالى فى ثمنهم وقبضه وصرفه فى وجوه الخير وهذا مالم يسمع بمثله عن أحد

« ذَلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ وَاللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ »

هذا ولو فتحنا هذا الباب وسردنا منه مجرد

استشهادات مما حصل للأولياء المنقول عن أكابر العلماء بالأسانيد القويّة ما أمكننا سدّه . ولذلك نختصر على ماقدّمناه من البيانات العقلية فى مقامات السالكين ودرجاتهم تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون .

الباب الثالث

فى انتقال سيدى الأستاذ وتخليف سيدى الشيخ
ابراهيم نجله خليفة له وانتشار الطريق على يده

انتقال سيدى الأستاذ

فى عام ١٣٣٨ هجريه قام سيدى الأستاذ إلى السياحة من أولها فكان يذهب إلى البلاد ويتنقل من بلد إلى أخرى وهو لايبالى بمطر أو برد مع كبر سنه وكان حاله ووجده بالله شديداً وكنت أتمنى لو أرافقه دائماً فى سياحته خصوصاً فى هذا العام لشدّة هيامه وشغله بالله مع قيامه

بالدعوى وكنت أحث إخواني بالحرص على الوقت الذي
يمكنهم فيه الاجتماع بسيدي الأستاذ فلا يضيعونه لينتفعوا
بأنفاسه وكان لي عادة أن أحتفل كل عام بتشريفه عندي
كما تقدم فطلبت من حضرته أن يشرفنا في شهر رجب
وكان لم يتم السياحة في الوجه البحري في خط (دمياط)
فقال سنجعل الحضور عندك في شعبان فألححت عليه فقال
إن شعبان أحسن فإن الأمر منه شاع وبان فامتثلت .
وفي الشهر المذكور شرّف عندي بثغر الاسكندرية
واحتفلنا بتشريفه وفيه زوجت نجلي عبد المنعم لتحصل
البركة بوجوده رضي الله عنه ولأن تشريفه دائماً كان
موسم سرور وائتناس .

وكان حال سيدي يزداد مع الله وكان يحب العزلة
ما أمكن . ومع هذا فكانت الزوّار ترد بكثرة شديدة
فيحتاطون بالمنزل ويمكثون الأوقات الكثيرة ينتظرون
بفارغ الصبر رؤيته رضي الله عنه للتبرك به ولا يملون من
الانتظار . وفي هذا العام أقبلت الناس عليه إقبالاً كلياً

وكان الأنس والسرور ونور الايمان والإشراق ظاهراً
على الوجوه بخلاف العادة فكان هذا الحال أدعى عندي
الى الخوف لتكامل الحال عند سيدي وتجمع القلوب على
حبه والالتفاف حوله إلى هذه الدرجة حتى كانت الأجانب
تأتي لزيارته وتطأطئ الرءوس عنده وكان يسأل كل واحد
في حاله بغاية اللطف والوداعة . وقد جاءه طبيب أجنبي
فسأله في مهنته ويجاوبه حتى أوقفه في الجواب فقال الطبيب
ان هذا الرجل مثله كمثل الأنبياء الذي يظهرون بآيات
جديدة يجب الاتيان اليهم .

وبينما أفكر في هذه الحال أردد قوله تعالى (إِذَا
جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي
دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ
كَانَ تَوَّاباً) وأن هذا الأمر دليل على قرب الوقت
لسيدي إذ حضرني أخي في الله (محمد بك السيد الفقي)
من أعيان كمشيش بالمنوفية وأخبرني أن سيدي شرع في
بناء مسجد بجوار منزله وكان يبدو على وجهه السرور لأنه

يخبرنى على سبيل البشرى فما كدت أسمع ذلك إلا وتكدر خاطرى وذهلت لأنى تذكرت أن سيدى قال لى من مدة ثمان سنوات أنه سيبنى مسجداً وسيكون فيه ضريحه وكان يشير لى بطريق الإشارة أن هذا الوقت يكون فيه انقضاء أجله . وكان يشير إلى أن المسجد سيكون فى الجهة الشرقية البحرية من بيته وكان يجدد هذه الذكرى فى بعض السنين وفى احتفاله بمولد المصطفى وقال لى مرة إذا كان اتساع المسجد سبعة عشر متراً تقريباً ألا يكفى فقلت له يكفى ياسيدى . فلما رأى حضرة البك منى هذه الدهشة ومقابلتى له على هذا الخبر بعدم السرور عاتبنى على ذلك فقلت له إن عندى إشارة بأنه إذا شرع سيدى فى عمل المسجد يكون دليلا على قرب انتقاله فتعجب .

والحقيقة أنه فى هذا العام كان يودعنا فى حفلاته بطريق الاشارة فكنا اذا اجتمعنا به يذكرنا بفضل الله على هذا الاجتماع ويطلب منه كثيراً قبول أعمالنا وغفران الذنوب .

ولقد كنا على محطة كفر الدوار فى آخر شعبان سنة ١٣٣٨ وهو مسافر الى الزقازيق فى آخر السياحة فكان ينظر الى أتباعه الذين قد اجتمعوا لتوديعه وكثير ماهم وكان يقف لهم ويودعهم بخلاف عاداته لأنه فى هذه المرة قام فى القطار الذي يقله ونظر لهم من نافذة العربة وصار يحييهم تحية الوداع ويقول لهم استودعكم الله غفر الله لنا ذنوبنا جميعاً فكان هذا داعياً كبيراً لإخواننا للتفكر واشتد تعلقهم به جداً . وفى آخر رمضان ذهبت لزيارته حسب عادتي فوجدت لديه جملة من إخواننا أذكر منهم حضرة الشيخ عبد الرحمن الغوابى المدرس بالمدارس الثانوية وشقيقه السيد عبد العزيز افندي الغوابى الموظف بوزارة الزراعة والسيد امام افندي ابراهيم الباشمهندس بمصلحة المساحة والشيخ محمد أمين عليوه وآخرين . وبعد تناول الافطار مع حضرته كعادته لأنه كان يفطر مع الناس الكثيرة العدد الذين كانوا يحضرون لزيارته فى شهر رمضان دائما وبعد صلاة المغرب قال . الله . ما أحسن هذا الاجتماع

ان هـذا الاجتماع كله لله ولم يقصد به إلا الحبّ في الله والعمل لله فكله إخلاص والله كريم يغفر الذنوب جميعاً إنه يغفر ذنوبنا ولا يخيّب رجاءنا ويدخلنا الجنة فاستبشرنا وكانت ساعة ما أحلاها وقام من وقته يسلم علينا ويدعو لنا رضي الله عنه ودخل البيت فلم يخرج حتى جاء العيد فذهبنا اليه لزيارته حسب العادة لأننا كنا نذهب فى أيام الأعياد فلا نجد عيداً لنا غير لقائه . فى هذا العيد (عيد رمضان ١٣٣٨ هجرية) لم يخرج الينا وعلمنا أنه مريض فكادت القلوب تطير شوقاً اليه وكان البعض في العادة يكتفى بحضوره للزيارة ويعود اذا وجد سيدي معتكفاً فلا يكافه المقابلة الا هذه المرّة فكان كل الناس ينتظرون لقاءه ولا يريدون العودة الا اذا نظروه فأذن لهم بزيارته فكنا نعوده فى بيته الخاص فى مكان نومه طائفة بعد طائفة يمرون عليه بدون إبطاء عنده كل واحد يقبل يده ويذهب وكان يدعو لكل شخص بما يناسبه وبما فى خاطره مع كثرة الناس واختلافهم ومع شدّة تألمه

ومكثنا ثلاثة أيام ولا نجد إذناً بالسفر كالعادة ولولا كثرة الزائرين وضرورة تقيدهم بالأشغال ولزوم السفر لما ماسافروا . وفى هذا الوقت أمر ببناء مقبرة له فى ضريح سيدى البرز شوقاً إلى مدّة وجوده هناك أيام الجذب وفعلا قام حضرات أنجاله بالأمر وبنيت المقبرة حسب الطلب .

ولكن بعض أولاده كانوا يعلمون عزمه على المسجد فقالوا له ألا تسمح ببناء المسجد والضريح فيه حسبما سمعنا من قبل فأجاب فقالوا له أننا نريد أن يكون هذا السماح مشمولاً بالتنفيذ كما عودتنا فى كل الأمور التى تريد من الله تنفيذها فقال لا بأس خذوا هذا أمراً سلطانياً لابد من تنفيذه فقام حضرة نجله سيدى الشيخ ابراهيم لشراء قطعة أرض تجاور كفر النحال لهذا المشروع فكلما ذهب إلى جهة لايتم فيها أمر لأنه ان تم الشراء يوجد بالملك قيد يمنع وقفه سواء كان ديناً أو غيره الى ان أذن الله أن ينفذ رغبة سيدى فلم يتيسر الا فى الجهة التي كان يشير اليها

وتم شراء الأرض اللازمة وفيها بنى الضريح قبل المسجد . وبعد ذلك اشتد الكرب فكانت تأخذه غشية بعد أخرى حتى فاضت روحه الشريفة فى عصر يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٣٨ هجرية الموافق ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٠ وهو لا يغفل عن ذكر الله تعالى لأنه كان يلهج بذكر الاسم . الله . الله . الله . حتى قبض عليه رضى الله عنه وأرضاه وتغمده برحمته الواسعة وأفاض عليه من تجلياته الدائمة الى يوم القيامة .

ولما قبض رضى الله عنه كان الوقت غير متسع لدفنه فبقى تلك الليلة فى منزله والأنوار الإلهية مضيئة على المكان الذى فيه والجلال يخيم عليه والقلوب ممتلئة دهشة حتى الصباح .

وفى صبيحة يوم الثلاثاء ١٣ منه تقاطرت الناس من كل فج فكانت قلوبهم على حالة واحدة إذا بحثت فيها تجدها شديدة الانفطار تكاد تتقطع ولكن فى الوقت ذاته تجدها مندهشة كأنما هى فى انتظار خروجه حيا

كمادته وكأنها ممتلئة تجليات وأنوار تدهش القلب فتورثه ثباتا واطمئنانا لا يكيف حتى أن البعض منا كان ينكر قلبه فكان هذا لطفا من الله تعالى ولولا ذلك لشقت الثياب بل القلوب وقطعت الأحشاء ونسيت الناس مراقبة الله لشدة ما عندها من الحب ولكن ليظهر سر الله فى طريقه ظهر هذا اللطف وفى الوقت المذكور حضر غسله الشريف حضرة نجله وخليفته شيخ الطريق من بعده سيدى الشيخ ابراهيم أبو خليل وطائفة من أتباعه . منهم حضرة الأستاذ الشيخ بسيونى عسل أحد علماء الأزهر الشريف وأحد خلفائه والشيخ محمد أمين عليوه زوج ابنته والشيخ عبد العزيز حسنين . وبعد أن أتموا اللازم خرجوا به للاحتفال بجنازته فى الزقازيق كما ينبغى له واستعدوا لذلك فلم يشعروا إلا وقد ساقهم الى محل قبره الشريف بحيث أنهم كانوا لا يستطيعون أن يتحولوا الى غير ذلك وكان فى الحاضرين جم غفير من أتباعه الذين يريدون المسير بموكبه فى البلد فتقدم البعض وحمل النعش وأرادوا تحويله فلم يستطع وحلف أنه

كان يجد ضغطاً قوياً على يده حتى ذهب إلى القبر وهناك صلوا عليه في محل مسجده ودفنوه في قبره الطاهر رضى الله عنه . وكان المأتم أشبه بمولد كبير جداً جداً يقرأ فيه القرآن وتقام عند القبر الأذكار بدون انقطاع حتى كان يخيل للناس أن هذا موسم من المواسم التى كان يقيمها سيدى للعبادة . واستمر ذلك مدة كبيرة لاينقطع حضور الذاكرين الي يوم الأربعين .

ومن وقت انتقاله والعمل جار في المسجد والضريح ولم يبق عن أتمامهما إلا القليل لغاية كتابة هذا الكتاب وهو مسجد في غاية الرواء وقد تحقق كلام سيدى الأستاذ حيث كان في المكان الذى يشير عليه من سنوات وجاء اتساعه نحو السبعة عشر متراً على غير قصد من واضع الرسم الأصلي . نسأل الله أن يتم هذا البناء الذى أسس على التقوى وأن يجعله عامراً بالعلم والعمل وذكر الله تعالى دائماً وأن يجعله مهبطاً للأنوار والأسرار وأن ينفع من أمه وجاوره بمدد صاحبه رضى الله عنه وأن يجعله باباً للفتوح

إنه كريم وهاب

ذكرى انتقال سيدى الأستاذ

وقد جعل سيدى الشيخ ابراهيم لتاريخ انتقال سيدى الأستاذ الأكبر ذكرى عامة سنوية تقام فيها شعائر الدين والذكر فيكون ذلك مولداً عاماً كما تقام الموالد لغيره من الأولياء . وابتدأ هذا العام من يوم الجمعة ١١ شوال سنة ١٣٣٩ هجرية موافق ١٧ يونيو سنة ١٩٢١ ميلادية و ١٠ بؤونة سنة ١٦٣٧ قبطية وانهاؤه يوم الجمعة ١٨ شوال وسيستمر كل عام إن شاء الله يقام في الميعاد المذكور بحساب السنة الشمسية أي في أواخر بؤونة ليكون في أوائل الصيف حيث يكون مناسباً لحالة الجو ويبدأ فيه بيوم الجمعة وينتهي بيوم الخميس ليلة الجمعة الثانية ليوافق ليلة حضرة الذكر التى تعمل له أدامه الله وجعله مولداً مباركاً تنتفع ببركاته الناس وأن يجعله دائماً عامراً بذكر الله

الخالص لوجهه الكريم وأن يديم هذا البيت عامراً إلى يوم القيامة

أولاده وبضعته

وقد انتقل سيدى الاستاذ الأكبر عن أولاده الأقمار السادة الأخيار سلالة البضعة الطاهرة هم

سيدى الشيخ ابراهيم أبو خليل شيخ الطريقة الآن خليفة والده

وسيدى الشيخ محمد محمد خليل الكبير شقيق سيدى الشيخ ابراهيم

وسيدى الشيخ محمد محمد خليل الصغير

وسيدى الشيخ السيد محمد خليل . وسيدى الشيخ رجب

وعن ست بنات (١) وأربع زوجات

---

(١) بناته هن السيدة آمنة المتزوجة بالشيخ عبد العزيز حسنين التاجر بكفر النحال ومن أعز أتباع سيدى الاستاذ

وتوفى فى حياته نجله المرحوم الشيخ خليل محمد خليل المدفون فى مقبرة الشيخ المبرز بكفر النحال وكان من كبار الأولياء أصحاب الكرامات الظاهرة وكان ممدوداً بإمدادات عظيمة وكان له دلال على والده . فاضت روحه بين يدى والده فاحتسبه وودعه وقام يصلى

وتوفى فى حياته أيضاً ابنته السيدة زينب وكانت متزوجة بالشيخ محمد أمين عليوه فاضت روحها في بيت والدها وكان غائباً بالسياحة فاستدعوه منها وهو يدعو الى الله تعالى ليحضر المأتم فحضره ولكنه كان مشغولاً بالله سبحانه وتعالى

والسيدة صالحة المتزوجة بالشيخ عبد الله ابن أخت سيدى الأستاذ

والسيدة نور المتزوجة بحضرة محمد أفندى عباس فهيم مدير التعليم بمديرية البحيرة

والسيدة انصاف المتزوجة بحضرة إمام أفندى ابراهيم الباشمهندس بديوان المساحة

والسيدة إكرام الصغيرة

والسيدة بثينة الصغيرة

وتوفيت في حياته زوجته الأولى والدة سيدى الشيخ ابراهيم وسيدى الشيخ محمد وسيدى المرحوم الشيخ خليل . والسيدة صالحة والسيدة آمنة وكانت هذه الزوجة من الصالحات وكانت تذكر الله كثيراً وقد أخبرنا سيدى الأستاذ أنه رأى ليلة القدر مراراً فكان يفوّض الأمر الى الله تعالى ولا يدعو وكان يوقظها لتدعو الله تعالى بما تشاء فكانت تدعو له بالقبول ولطريقه بالستر والانتشار والفتح على أتباعه . وكان ذلك دعاءها في كل مرّة ولا تطلب شيئاً وقد حقق الله هذه الدعوة . نسأل الله أن يفتح علينا فتوح العارفين بالله وأن يجعلنا من أهل طاعته ورضائه في الدنيا والآخرة وأن يستر طريقنا ويجعله طريق الفتح والمحبة والعمل لله والقبول الى يوم القيامة

تولية نجله سيدى الشيخ ابراهيم شيخا للطريقة بعد والده

فارقنا رضى الله عنه من دار الدنيا الي دار الآخرة ولكنه لم يفارقنا بروحه ولم تنقطع أعماله فقد ترك فينا

ذكر الله تعالى واستخلف علينا فيه نجله الأستاذ الفاضل صاحب المدد العظيم . والسر الكبير . والروح العالية . والقلب الطاهر النقى . سيدى (الشيخ ابراهيم ابو خليل) أكبر أنجاله . ووارث حاله . رضى الله عنه

فأننا سمعنا أن سيدى الأستاذ رضي الله عنه قال في زمن جذبه (الحمد لله الذى جعل خليفتى من بعدى ولدى ابراهيم) وقد حقق الله ذلك . فإنه بعد انتقال سيدى وعودة المشيعين لجنازته كان قد عُمِل سرادق كبير جداً في مكان فسيح بين بيته وقبره لاستقبال الناس الذين يأتون للعزاء وكانوا يأتون أفواجاً أفواجاً من كل جهة ومكان وقاموا كلهم وجدّدوا العهد على يد سيدى الشيخ ابراهيم حيث اختاروه أن يكون شيخاً للطريق بعد والده . وكان في مقدّمتهم الأستاذ الشيخ بسيونى عسل من أفاضل علماء الأزهر وغيره من العلماء والوجوه وكل خلفاء سيدى من أقاصى البلاد وأدناها . واستمر الأمر على ذلك واستقرّ على هذا الحال . أدامه الله وأحياه حياة طيبة في

الدين والدنيا والآخرة ونفع به المسلمين

أما هو فإنه كان فى زمن والده عاكفاً على العبادة له سمت جميل وهدىٌ صالح ساكن فى نفسه. مفكر فى ربه. مشغول بحاله. لا يلتفت إلى الناس. حفظ القرآن فى صغره وأجاد قراءته. وتفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه. وأخذ العهد على سيدى الشيخ شناوى يوسف شيخ والده المتقدم ذكره. وبعد انتقاله جدد على والده صاحب السيرة رضى الله عنهما. واستمد من روحه وسلك مسلكه واعتكف على عبادة الله وكان لا يجتمع بالناس إلا لضرورة وكان يرافق والده فى بعض سياحاته على أنه كان يتجر فى زمن والده. وفى السنين الأخيرة امتنع عن معاطاة التجارة قطعاً فسألته وقت ذلك عن السبب. فقال لقد اختلط الحلال بالحرام وأصبحنا لا نفلح فى التجارة التى على هذا الحال لأننا إن اتبعنا الشرع فى تجارتنا لا يمكننا مجاراة الذين يخالفون الشرع فيها وتبور تجارتنا الدنيوية ونحن لا نقصد فيها إلا التجارة الأخروية التى لن تبور

وبعد انتقال سيدى الأستاذ سار على قدمه وعامل الناس معاملة الاخلاص والحب لله وعطف على الصغير والكبير وأنزلهم منازلهم فأمه الناس وتعلقت به القلوب وزاد حبه فيها وسارت إليه الناس من كل فج. وانتشر الطريق على يديه انتشاراً غريباً. ولم يزل يجدد البرهان. وتكاثر الاتباع فى كل مكان. واتخذوا هذا الطريق منهاجاً. ودخلوا فيه أفواجاً. ودعته الناس إلى البلاد فقام إليها وزاد ائتلاف القلوب وفتح الله القلوب المقفلة على يديه فى بلاد كثيرة غير التى كان يذهب إليها والده رضى الله عنهما وأقبلت الناس على الطاعة أيما إقبال على يده. ولا زالت الطريق به تزداد وتزهو وتزهر والاخوان يكثرون جداً ويتآلفون ويتعاونون على الذكر والتقوى والمحبة فسبحان مؤلف القلوب القائل فى كتابه العزيز لنبيه الكريم
(لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ)

وسيدى الشيخ ابراهيم هذا من أرباب الأحوال له

سرٌّ عظيم لايخشى فى الله لومة لائم ولا يقول إلا حقاً ولا يصاحب أحداً إلا فى الله ولا ينتصر لذوى الغايات ولو كان أقرب الناس إليه . ولقد كان يذكر لى كرامة من كرامات والده فإذا هى كرامة له أيضاً . ذلك أنه ذهب الى بيت تعود الذهاب اليه وكان يقرأ فيه ماتيسر من القرآن فوجد فيه مريضاً فأشفق عليه ومال قلبه إلى أن يتحمل المرض عنه فلم يقم من عنده الا وقد تحمل المرض وطاب المريض فقام متألماً . قال وزاد المرض واشتدّ حتى لم أعد أطيقه . قال فما أشعر إلا وقد حضر والدى إلىّ وقال يابنىّ مالك ولهذا أترك الأمراض لمن يتحملها ألا ترانى أشرب حصير اللبن كثيراً من نادى الامين قال ولم يقم من عندى الا وقد خفّ المرض فعلمت أن الحصير انما هو لتبريد حرارة المرض فى البطن ونادى الامين هذا يباع عنده اللبن بأنواعه

ولقد كان يقرأ القرآن فى محفل فلما جاء الى قوله تعالى (وحناناً من لدنّا) أخذه الوجد والحال وصار يقول وحناناً . وحناناً . وقام من المجلس ولم يمكنه إتمام القراءة. ولا يمكننى أن أذكر عن حضرته شيئاً غير هذا لأنه لم

يسمح لى بذلك والحقيقة أنه بحر عجاج وأنواره ساطعة فهو شمس الطريقة المشرقة ومصدر تجليات الحق عليها وهو المنظور اليه من الله سبحانه وتعالى فيها فهو نبراس الهدى وميزاب الأمداد وارث حال أبيه لايسامح في حقوق الله باطنة أو ظاهرة وهو لايغضب الا لله وما غضب على إنسان وأفلح بعدها ورحم الله امرءاً عرف قدره فحفظ قلبه معه غائباً وحاضراً وعامل الله معه كما يدعوا اليه ودام معه على رضاء منه وهو ولله الحمد طيب السريرة قوىّ الهمة فى الله تدر ببركته الخيرات . وتقضى به الحاجات . كله أدب فى أدب لأنه ذهب أصله من ذهب . والأصل عريق والولد سر أبيه

نسأل الله أن ينفعنا به وأن يجعله راضياً عنا دائماً وأن يمدّنا بمدده ومدد أبيه (١) وأن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يزيد به النفع الى يوم الدين وأن يغفر لنا ولوالدينا

---

(١) المدد هو الزيادة والغرض أن يمدنا الله سبحانه وتعالى بالمدد الذى يمده به من المدد الذى يمد به النبى صلى الله عليه وسلم وهو زيادة العلم والمعرفة بالله سبحانه وتعالى

ولمشايخنا وأن يجعلنا من أتباعهم الى يوم الدين آمين

كلمة ختامية

لقد منّ الله علينا بجمع هــذه السيرة المباركة ذكرت فيها بعض مناقب سيدى الأستاذ وسيرته باختصار وبينت فيها (آداب الطريق) وسلكت فى ذكرها مارأيناه من سيدنا الأستاذ ومن خواص أتباعه الذين كانوا يلازمونه

وما هى الا آداب السادة الصوفية رضي الله عنهم فلقد راجعت كتبهم ووقفت منها على أحوالهم فوجدت أتباع سيدى المذكورين قد شربوا منها أعذب المناهل وسقوا من أغدق الأنهار وساروا على أقوم طريق من أقرب مسلك . وقد ذكرت هاته الآداب والأحوال والمقامات وغيرها على هذا الأسلوب المار كما رأيته منهم ورتبته على هذا النسق ليأخذ السالك ومن يريد السير الى الله تعالى أصفى الأقسام منه ويداوم عليه ويحاسب نفسه على تردد

الأنفاس فلا يدع مقدار نَفَس تمر عليه فى غير الإقبال على ربه وما يرضيه . فقد قالت السيدة عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يذكر الله على كل أحيانه)

وكان القطب الرفاعى رضى الله عنه يقول (من لم يحاسب نفسه على كل نَفَسٍ ويتهمها فى جميع أحوالها لايكتب عندنا فى ديوان الرجال

وقال بعضهم من أقبل على الله سبعين عاماً وأدبر عنه نفساً واحداً كان مافاته أكثر مما ناله لأن كل نفس فيه مدد الأنفاس السابقة فمن ضيع نفساً فاته مدد النفس الجديد ومدد الأنفاس السابقة فحرم الرأى السديد

هذا وقد تحاشيت أن أذكر فى هذه الآداب صيغ الأمر التى تقال في مثل هذه الابواب (كما يقال يلزم للمريد كذا ويجب عليه كذا) لأننى لست على شئ وليس لى شئ وليس العمل بالكلام . انما هو توفيق والهام (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت) . وانما نقلت

أفعالهم وأعمالهم عسى أن تنفع الذكرى أو تكون سبباً
للهداية والاقتداء بتوفيق من رب القلوب . وهى آداب
عامة لكل سالك من أى طريق كان فإنما هى أخلاق كريمة
تهذب النفس وتصقل القلب أصلها من السنة الشريفة
النبوية ومن الشرع الشريف جعلنا الله من خير المتخلقين بها
العاملين عليها ومن خير المقتدين بسيد المرسلين

وقد بينت فى أذكار الطريق ومقامات السالكين
ودرجات الذاكرين ما يقبله العقل ويَتمشّى مع الشرع مبتعداً
عن كل ما يذكر من غوامض المشاهدات ومباحث
التوحيد ومقامات الفناء وسر الاتحاد ورؤية المعنى حسًّا
وغير ذلك مما يعرفه أرباب الأحوال من المشاهدات
الروحية وذوق الروح لحالات التوحيد . ومكاشفات أهل
الولاية فإن ذلك يعرفه أهل الذكر الذين سَبقَتْ لَهمْ
مِنَ اللهِ الحُسنى . ومن أراد الزيادة فعليه بأهل الذكر
ليأخذ من قلوبهم فقد قال سادتنا الصوفية ان هؤلاء يجب
السعى لهم والسفر اليهم ومصاحبتهم والتخلق بأخلاقهم

والأخذ عنهم وقد قال تعالى (فاسألوا أهلَ الذِّكرِ إنْ
كُنتُمْ لا تعلَمُون) ومن أراد المتاب فعليه أن يستغفر
الله تعالى ويتوب اليه ويتوجه بقلبه إلى النبيّ صلى الله عليه
وسلم فقد قال الله تعالى (وَلو أنَّهمْ إذْ ظلموا أَنفُسَهُمْ
جاؤُكَ فاستغفَرُوا اللهَ واستغفَرَ لهمُ الرَّسولُ لوجدُوا
اللهَ توّابًا رَحيما) ومن لم يجئ إلى النبي صلى الله عليه وسلم
بذاته فليجئه بروحه أو يجئ بالداعى الى دينه ليستغفر له فإن
باب التوبة مفتوح واستغفار الرسول مقبول جعله الله
واسطتنا العظمى فى الدنيا والآخرة .

وفى الختام أدعو بهذا الدعاء الذى كان يدعو به
سيدى الأستاذ الاكبر رضى الله عنه فى الغالب عقب
الصلاة وعقب تلقين العهد وهو :

(اللهمّ بجاه نبيك المصطفى . وحبيبك المرتضى .
وأمينك على وحى السماء . أن تغفر ذنوبنا . وتستر عيوبنا
وتكتب لنا عندك براءة وعتقاً من النار . وأمناً من
العذاب . وجوازاً على الصراط . وطريقاً الى الخير . اللهمّ

توفنا يا آلهي بكرمك مسلمين مؤمنين موحدين وألحقنا بالصالحين آمين

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

قال مؤلفه

فرغت من اتمامه عصر يوم الأربعاء ٢٩ شوال سنة ١٣٣٩ هجرية وأول أبيب سنه ١٦٣٧ قبطية، ٦ يوليو سنة ١٩٢١ ميلادية م

تقاريظ الكتاب

ولما اطلع حضرة الأستاذ الفاضل. والعلامة الكامل. قدوة الفضلاء. وشيخ العلماء. صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ (عبد الرحمن الخضرى) شيخ العلماء بالمعهد الدمياطى بدمياط حفظه الله قال مايأتى

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد ولك الشكر غرست أشجار الحكمة فى قلوب العارفين. فأطلعت ثمرات الاهتداء في صدور المسترشدين. تحت اشراف سيد المرسلين. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين. والتابعين والأولياء والصالحين. ومن انتمى اليهم وانتسب. وتمسك بأذيالهم وسار بسيرهم فاقترب. صلاة وسلاماً دائمين الي يوم الدين.

(وبعـد) فأن حضرة الأستاذ الفاضل . والعلم المفرد الكامل . زهرة سيدنا ومولانا خاتمة المحققين . وحجة المناظرين . شافعي الزمان . والمرجع اذا دجت مشكلة وغابت عن العيان . ذلك العباب فلا تكدره الدلاء والسحاب ولكن تتقاصر عن فيضه الأنواء

وكان من العلوم بحيث يقضى * له من كل علم بالجميع

السالك سبيل الأقدمين . والفائز بالسبق فى مضمار اللاحقين . ذو الفتح الرحمانى . شيخنا وأستاذنا الشيخ (احمد الحلوانى) طيب الله ثراه . وجعل الجنة متقلبه ومثواه . فأثمر رحمه الله تلك الزهرة اليانعة . والثمرة النافعة . ذات الفيض الداني حضرة الأستاذ الشيخ (عبد السلام الحلوانى) أوقفنى حفظه الله على مؤلف له وسمه (بالسيرة الخليلية) يشتمل على سيرة الغوث الأكبر سيدنا الشيخ (محمد ابو خليل) وبيان وجوب الدعوة الي الله وأصول طريق السادة الصوفية وآدابهم وأخلاقهم فلما روضت فكرى فى رياضته الزاهرة وحدقت حدقتى في

حدائقه الماطرة . وجدته كتابا جليلا نافعا للطالبين الراغبين فى التخلق بأخلاق السادة الصوفية رضى الله عنهم أجمعين . محلى بسيرة الأستاذ الجليل . علم الهداية . وجبل العلم والولاية . مربى المريدين . وناشر سنة سيد المرسلين . الغوث الأكبر . والكنز الاذخر . سيدنا ومولانا الشيخ (محمد أبى خليل) رحمه الله رحمة واسعة . راجيا منه سبحانه وتعالى أن ينفع به كما نفع بأصله . فهو مقتبس من نفحات الأستاذ ولمحاته . وفائض من بحر لحظاته وتوجهاته . نفعنى الله بها . وأدخلنى تحت عمومها . مصليا ومسلما على من بعثه الله رحمة للعالمين . وهدى للمتقين . صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين الى يوم الدين

عبد الرحمن الخضرى

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير والهمام الشهير العلامة (الشيخ عبد الله دراز) وكيل مشيخة علماء الاسكندرية حفظه الله

الحمد لله الذى شرح صدور أحبته بنور اليقين . وكشف عن أسرار العبودية لعباده المقربين . من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وصلاة وسلاماً على شمس الوجود . ونعمة الله العظمى على كل موجود . سيدنا محمد وصحبه وآله وحزبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

(أما بعد) فقد أسعدنى الحظ باطلاعي على نبذة من كتاب (السيرة الخليلية) تأليف الأخ الكامل (عبد السلام افندى الحلوانى) فرع دوحة المعارف الباسقة . وثمرة روضة الفضل المونقة . فألفيت هذه النبذة شذرة من شذرات آداب الطريقة . ودرجة من سلم الحقيقة . التى دعا اليها صاحب الشرع الشريف . ورغب فيها الدين

الحنيف . قد جمعت فى فصول كشفت عن الحسان القناع . وعقود من الدرّ نسقتها يَدُ صناع

ولقد كنت حريصاً على استيعاب الكتاب والتعرض لأريج نفحاته فى كل باب لولا ماعاقنى من الشواغل . وأخذ بتلابيب نفسي من الحوائل . — نسأل الله تعالى أن ينفع بالمؤلف وتأليفه . كما نفع بأصله وتصانيفه . إنه لارب غيره . ولا نرجو الا خيره ؟

وكيل معهد اسكندرية

عبد الله دراز

وقال حضرة الأستاذ التقي . القدوة النقي الرضي . العلامة الشيخ (محمد تاج الدين) أحد علماء معهد الاسكندرية وعضو ادارتها . أحياه الله حياة طيبة فى الدين والدنيا والآخرة

(بسم الله الرحمن الرحيم) . الحمد لله الهادى الى الصراط المستقيم . والصلاة والسلام على من أرسل بالطريق القويم والخير العميم . سيدنا محمد المنعوت بقوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وعلى آله وصحبه الذين بذلوا فى سبيل الله أرواحهم وأموالهم . وكل داع الى الله راعى عهدهم وسلك سبيلهم . ممن أمرنا تعالى بأتباعهم . والتمسك بأذيالهم . والتقرب منهم بقوله جل شأنه (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)

(وبعد) فقد اطلعت على هذه (السيرة الخليلية) فإذا هى برهان ساطع . على فضل مؤلفها وغزارة مادته

ودليل لامع . على علو كعبه . ورفعة مكانته . أدام الله النفع به كما نفع بسلفيه الأمجدين . القمرين الأنورين . والده علامة زمانه . وشيخه صاحب هذه السيرة قطب أوانه . بما للأول من واسع المعارف وساطع المعلومات . وجليل التآليف وجزيل المصنفات . وما للثانى من عظيم المجاهدات والهدايات وعميم الارشادات . أمدنا الله بأمداداتهم . وأعاد علينا من بركاتهم . وجمعنا بهم فى أرفع الدرجات . من فسيح الجنات . وقد أمد اليراع من هذه الامدادات . فامتلأ سروراً . وفاض حبوراً . ثم انبرى وجرى بهذه الابيات

ياسيرة المولى الجليل	قطب الأنام أبى خليل
أسفرت عن طرق الهدى	والفضل والفيض الجزيل
من كل باهر حكمة	بثبوتها سطع الدليل
يامن يروم شريعة	وحقيقة تشفى الغليل
لازم لساحة طرسها	وفناء ذا الروض الظليل
تغنم لذيذ قطوفها	وحلاوة الذوق العسيل

ممن تعهد غرسها　　برحيق عذب السلسبيل
(عبد السلام) مجيدها　　وطبيب ذا القلب العليل
دامت مشارق فضله　　تهدى الى خير السبيل

كتبه

محمد تاج الدين

مدرس بمعهد اسكندرية

ولما اطلع حضرة الأستاذ صاحب الفضيلة العلامة الشهير التقى النقى الشيخ (محمد على خلف الحسينى) الشهير بالحداد من كبار علماء الازهر الشريف حرسه الله وأدامه ونفع به　قال مايأتى

(بسم الله الرحمن الرحيم). أحمدك يامن أسبغت على عبادك النعم ظاهرة وباطنة. وأكملت لمن هديت الدين فسلك الطريق الآمنة. وأصلي وأسلم على سيدنا محمد منبع العلوم وكنز الفواضل والفضائل. ومظهر الأنوار ومعدن الاسرار ومصدر أشرف الشمائل وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وأتباعه وتابعيهم



ومن بهم اقتدى (وبعد) فقد اطلعت على كتاب (السيرة الخليلية) المطرز ببيان أصول طريق السادة الصوفية. لواضعه الأستاذ المرشد الرباني. السيد (عبدالسلام افندى الحلوانى) فاذا هو قد حوى مع الايضاح رقيق المبانى. وجمع مع الايجاز دقيق المعاني. فأتى على أكمل نظم وأجمل صورة مرضية. خصوصا بما اشتمل عليه من آيات الكتاب والاحاديث النبوية وله القدر فى اقتصاره على ذكر النذر القليل من مشهور كرامات قدوتنا المرحوم (الحاج محمد أبى خليل) نفعنا الله ببركاته. وأحلنا معه فسيح جناته. وجزى الله المؤلف الحسنى وزيادة. وختم لنا وإياه بخاتمة السعادة

محمد على خلف الحسينى

الشهير بالحداد

ممن تعهد غرسها برحيق عذب السلسبيل
(عبد السلام) مجيدها وطبيب ذا القلب العليل
دامت مشارق فضله تهدى الى خير السبيل

كتبه
محمد تاج الدين
مدرس بمعهد اسكندرية

ولما اطلع حضرة الأستاذ صاحب الفضيلة العلامة الشهير التقى النقى الشيخ (محمد على خلف الحسينى) الشهير بالحداد من كبار علماء الازهر الشريف حرسه الله وأدامه ونفع به قال مايأتى

(بسم الله الرحمن الرحيم) . أحمدك يامن أسبغت على عبادك النعم ظاهرة وباطنة . وأكملت لمن هديت الدين فسلك الطريق الآمنة . وأصلي وأسلم على سيدنا محمد منبع العلوم وكنز الفواضل والفضائل . ومظهر الأنوار ومعدن الاسرار ومصدر أشرف الشمائل وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وأتباعه وتابعيهم



ومن بهم اقتدى (وبعد) فقد اطلعت على كتاب (السيرة الخليلية) المطرز ببيان أصول طريق السادة الصوفية . لواضعه الأستاذ المرشد الرباني . السيد (عبد السلام افندى الحلوانى) فاذا هو قد حوى مع الايضاح رقيق المبانى . وجمع مع الايجاز دقيق المعانى . فأتى على أكمل نظم وأجمل صورة مرضية . خصوصا بما اشتمل عليه من آيات الكتاب والاحاديث النبوية وله القدر فى اقتصاره على ذكر النذر القليل من مشهور كرامات قدوتنا المرحوم (الحاج محمد أبى خليل) نفعنا الله ببركاته . وأحلنا معه فسيح جناته . وجزى الله المؤلف الحسنى وزيادة . وختم لنا وإياه بخاتمة السعادة ؟

محمد على خلف الحسينى
الشهير بالحداد

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك يامن فتحت بالخليل قلوباً غلفا . ومنحت بالهداية أهل العناية وكسوتهم حناناً وعطفا . أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله رحمة للعالمين ولطفا . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا . وارض اللهم عن شيخنا أبي خليل الذى نظم أتباعه فى ميادين الجهاد صفاً صفا .. وعن نجله الذى جمع القلوب ونشر عليها من صافى مكارم أخلاقه عَرفا . وأباحها من واسع مدده غُرفا . وسقاها من فيض بحر وُدّه غَرقا (أما بعد) فما كل مؤلف يؤلف . ولا كل كلام يقال يعرف . ان هى الا هبات إلاهية يجعل مصدرها من يشاء من عباده ونتائج صدق واخلاص تستخرج من مقدمات يقينية مغرسها أهل العناية من عباده (يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) ونفحات خليلية يتلقاها أهل العفاف . الذين يعاملون أنفسهم بالانصاف . ويأخذون بيد من يريد الاسعاف . وأن ينظم فى سلك ذوى الائتلاف . من تلك الهبات

الإلاهية . ومن هذه النتائج والنفحات الخليلية . مؤلف جادت به يد فضائل من بمكارم أخلاقه وسع القاصي والداني . سيدي وسندى القدوة الكامل والعالم العامل مولانا (السيد عبد السلام الحلوانى) سرد فيه ذرّة من سيرة الأستاذ الاكبر والعلم الأزهر . قدوتنا الى الله تعالى سيدى (الحاج محمد أبي خليل) متوخياً فيه ماشاهده بالعيان . أو ثبت عنده بساطع البرهان . أو بلغه عن مصدر ثقة من الاخوان . مستدلا على ما أثبته بكتاب أو سنّه . محلياً جيده بقلائد الادلة القطعيه . ان عبّر فمحبوكة بنور الحكمة عبارته . وان أشار فبسحر البيان سحرت ألباب العارفين اشارته . طبيعى الترتيب ونظامه عجيب . فهو لكل فضل جامع . لايمل منه قارئ ولا سامع . لله درّه من مؤلف غرس فى كتابه هذا كل فضيله . وأنبته نباتاً حسنا في قلوب مطهرة شريفه . فطوبى لمن تلقاه بقلب سليم . ودفعه اليه عامل الاخلاص كأنه ولى حميم . والله أسأل أن ينفعنا بعد النبي صلى الله عليه وسلم وحبه ومدد شيخنا وكرامة مؤلفه آمين

محمد حواس — أحد العلماء

ومدرس بمسجد ريحان بالمنصوره

فهرست الكتاب

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة